كيف تستفيد من الحرمين الشريفين؟

أيها الزائر والمقيم

تأليف

أبو طلحة محمد يونس عبد الستار
المدينة المنورة - زادها الله شرفا
تليفون : [illegible]

تقديم ومراجعة

الدكتور/ هاشم محمد علي مهدي
مدير عام المنظمات الدولية
برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

ح مطابع الرشيد: (أبو طلحة محمد يونس عبدالستار) ١٤٢١هـ
فهـــرسة مكتـــبة الملـــك فهـــد الوطنية أثـــناء النشر

عبدالستار ، أبو طلحة محمد يونس

كيف تستفيد من الحرمين الشريفين؟ أيها الزائر والمقيم ط ٢ مكة المكرمة
١٨٢ ص ٢٥ X ١٧
ردمـــك : X - ٨٧ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠
١ ـ الحج ٢ ـ العمرة ٣ ـ زيارة المسجد النبوي ٤ ـ زيارة المسجد الحرام
أ ـ العنوان
ديـــوي : ٥ ، ٢٥٢ ٢١ / ٠٨٨٧
رقـــم الإيـــداع : ٢١ / ٠٨٨٧
ردمك : X - ٨٧ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠

الطبعة الثانية : ١٤٢١هـ
مطـابع الوحيـد ـ مكة المكرمة
عنوان الطلب
ص . ب : ١١٠١ المدينة المنورة
ت : ٨٣٦٨٣٨٢ فاكس ٨٣٨٣٤٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم ومراجعة فضيلة الشيخ الدكتور
هاشم محمد علي مهدي حفظه الله تعالى

مدير عام المنظمات الدولية حالياً ومدير عام شئون الدعوة سابقاً برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اقتدى بهم من التابعين إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الشيخ / أبو طلحة محمد يونس بن عبدالستار الأستاذ الأديب اللبيب ، ساكن مدينة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم ، والمصنف للعديد من التأليفات ، منها المطبوع ومنها المكتوب ، طلب مني أن أراجع وأكتب له تقريظاً لكتابه تحت الطبع :

«كيف تستفيد من الحرمين الشريفين؟»

لقد طالعت هذا الكتاب ، وأرتوت نفسي من معينه بلذيذ الشراب ، ورغم أنه ليس أول التصانيف في هذا الباب إذ سبقته مؤلفات في هذا الموضوع نشرت في أزمنة مختلفة ، منها الحديث ومنها القديم ، ولا داعي لذكرها ، لأن المطلوب هنا التعريف بأهمية موضوع الكتاب الذي بين يدي القارئ .

● إن الحرمين الشريفين عينان في رأس كل مؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فالبعيد النائي عنهما ينظر إليهما بعيني قلبه ، ويتطلع إليهما في شوق وحرقة متلازمين ، أما القريب المجاور لهما فإنه يتلذذ بمشاهداتهما ويمعن النظر فيهما حتى يخترقا منه القلب والعقل ، فتمتلئ جميع جوانحه حباً وطمأنينة ، ويسكن الفؤاد إليهما فلا يطيق فراقاً .

لقد قال الله تعالى في المسجد الحرام : ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ المائدة : ٩٧ .

وقال تعالى في مسجد قباء - أول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله المدينة ، وهو دون المسجد النبوي الشريف في المكانة حيث تشد إليه الرحـــال :

﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهّروا والله يحب المتطهرين﴾ التوبة : ١٠٨ .

إن كلا البلدين يجب أن يشد إليهما المؤمن رحاله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى» متفق عليه صحيح مسلم رقم ٥١١-٥١٢ كي يقوم فيهما للعبادة ، وليتوب إلى الله ، ويتطهر من ذنوبه ، ويشعر بالطمأنينة ولذة القرب ناقشاً صورتهما على القلب والبصر ، وإن كان المؤلف لم يتعرض لذكر المسجد الأقصى في هذا الكتاب ، فإنه بمثابة الأنف في وجه كل مؤمن يشم به رائحة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ورائحة المعراج ، ورائحــة أرض المـــيعاد نســـأل الله أن يحـــرره من أيدي الغاصبين إنه سميع مجيب .

نعم إن القادم إلى الحرم المكي يكتسي حلة الخصوصية الخاصة بأهله والتي خلعها عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال لسيدنا عتاب بن أسيد رضي الله عنه حين ولاه إمارة مكة «أتدري على من وليتك ؟ وليتك على أهل الله وخاصته» فإن الآتي إلى مكة للعبادة الخالصة ستكون له هذه الأهلية وهذه الخصوصية - إن شاء الله تعالى - .

أما المدينة فقد قال النبي صلي الله عليه وآله وسلم : «لو لا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً ، وسلكت الأنصار وادياً - أو شعباً - لسلكتُ وادي الأنصار ، أو شعب الأنصار» رواه البخاري .

إذاً فالآتي إلى المدينة من المسلمين المؤمنين يكون أنصارياً ، ومعنى الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه كما أحب الأنصار ، ويشمله دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم له ، كما دعا صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار ولأبنائهم ولأحفادهم ولنسائهم ولأتباعهم فقال : «اللهم اغفر

للأنصار ، ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» متفق عليه . واللفظ لمسلم رقم : ١٧٢ .

وزاد الترمذي رقم : ٣٨٩٨ : «ولنساء الأنصار» كما كان يدعو صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون أتباعهم منهم كما ذكره البخاري في باب أتباع الأنصار ، وكذلك يحققه قوله تعالى : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً﴾ النساء : ٦٤ .

وأيضاً ينال هذا القادم إلى المدينة المنورة شيئاً من محبة هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، التي هي علامة الإيمان وتمامه وكماله بل ومأرزه أيضاً ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى جُحرها» متفق عليه .

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وقال الحافظ رحمه الله في الفتح ٤ / ٩٣ - : وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويشمل ذلك جميع الأزمنة اهـ .

فإذا كان الله قد وعد أهل الإيمان من المكيين بأنه لا تصيبهم جوعاً ، (قال ابن عباس رضي الله عنهما : وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال : ﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات﴾ البقرة : ١٦٦ ذكره القرطبي) . وقال تعالى : ﴿أوَ لم نمكن لهم حرماً آمناً يُجبْىٰ إليه ثمرات كل شيئ﴾ القصص : ٥٧ ، وتفضل عليهم - أي أهل مكة - بالأمن والرخص ، وأطعمهم بعد جوع فقال : ﴿أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قريش : ٤ .

فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا للقادم إلى المدينة ولساكنها بالخير فقال : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» متفق عليه .

ودعا للمدينة وأهلها بضعفي ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها فقال عليه الصلاة والسلام : «إن إبراهيم حرّم مكة ، ودعا لأهلها ، وإني حرمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ، وإني دعوتُ في صاعها ومدها بمثْلَي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة» لفظ مسلم رقم : ٤٥٤ .

وكذلك أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الإيمان يأرز إلى المدينة . فلا

يحلو ويهنأ العيش فيها إلا لمؤمن ، فقد ورد في الحديث الشريف : « ... رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، لا يبقى منافق ولا منافقة ، إلا خرج إليه ... » رواه أحمد والطبراني .

وكذلك ورد في الحديث عن سكان مكة أنها كالكير ينفي خبث الحديد ، والتوعد بالعذاب الشديد الأليم قال تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ .

فإن مكة والمدينة بلدتان طاهرتان مقدستان ، وكم أراد بعض العابثين النيل من قدسيتهما عبر التاريخ ولكن الله قد قيض لهما من يذب عنهما ، وفي الوقت الحاضر فإن الحكومة السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - تتشرف بخدمتهما وتحول بشكل صارم شديد دون أن يصل إلى هاتين المدينتين أيّ مكروه - بفضل منه ونعمة - فجزاها الله خير الجزاء .

ولقد شهدت مكة المكرمة والمدينة المنورة في عهد الحكومة السعودية نمواً مضطرداً وتوسعاً عمرانياً وتسهيلات عديدة لسكانهما والوافدين إليهما من حجاج وعمار وزوار ، ويجب أن ننوه ونذكّر هنا بسعة الحرم المكي الذي يتسع لإثنين مليون مصلى ، وكذلك الحرم المدني الذي يتسع لنصف مليون مصلى تقريباً .

إني أريد أن أختم كلامي بالتعريف بمحبة المسلمين لهذين الحرمين وأهلهما من واقع تجربة حصلت لي ، فعندما سافرت إلى مدغشقر وعرف الناس أني مكي المولد والمنشأ ، فلم يتركوني أرتاح في الفندق ، فالجميع دعاني إلى بيته لتناول الافطار والغداء والعشاء كل يوم طيلة إقامتي في بلدهم ولم يقبلوا لي عذراً ، فلما سألتهم لماذا هذا الاهتمام بشخصي المتواضع الذي لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ؟ فكانت الإجابة مفاجأة لم أكن أتصورها : إننا نرى فيك مكة والمدينة ، إننا نرى أهلهما من المهاجرين والأنصار في الأحلام من الشوق ، وها أنت واحد من أهل تلك البلاد بين ظهرانينا ، وفي عالم يقظتنا ألا تمنحنا الفرصة لنشمّ فيك رائحة مكة والمدينة ؟ ونروي الأرواح والأنفس من عبق عبيرهما الطيب وشذاهما الفواح ؟

فسبحان من زيّن قلوب المؤمنين وملأها بحب الحرمين وأهلهما ، ألا ! وهو دعاء أبينا إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها ، فاستجاب الله دعاءه وهو

قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم (أي تحن إليهم ، وتحن إلى زيارة البيت ، قال ابن عباس : لو قال أفئدة الناس ، لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارىٰ والمجوس ، لكن قال : ﴿من الناس﴾ فهم المسلمون) ما بين القوسين من تفسير القرطبي رحمه الله تعالى .

وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا لأهل المدينة وللمدينة بأن تهوي القلوب إليها كما دعا بتحبيبها بمثل حبة مكة أو أشد .

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر نحو اليمن فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم» ونظر إلى الشام فقال : «اللهم أقبل بقلوبهم» ونظر نحو العراق فقال مثل ذلك ، ونظر نحو كل أفق فقال مثل ذلك ...» الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٤٨٢ وأحمد في مسنده : ٣ / ٣٤٢ وذكره صاحب مجمع الزوايد : ٣ / ٣٠٤ .

ودعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم في تحبيب المدينة معروف قد ذكره البخاري ومسلم رقم (٤٨٠) عن عائشة رضي الله عنها وفيه : (... اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصحِّحها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومدِّها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة» .

وقد استجاب الله تعالى دعاءه صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وأهلها ، كما استجاب دعاء الخليل ﷺ في مكة وأهلها ، تهوي القلوب إليهما وتحن إلى زيارتهما ، وهذا كما تراه حتى في زماننا ، فإن كل مسلم ومسلمة وكل مؤمنٍ ومؤمنة يهوى قلبه مشاهدة المدينتين المباركتين ، ويتحرق كبده شوقاً لرؤيتهما ولو مرة في حياته ، وهذا ما تجده في موسم الحج والعمرة والإجازات فلا يخلوان في أي يوم من زائر : الحاضر والباد .

فإن الحرمين تحفتان فريدتان على وجه الأرض الفانية ، وقبسان يضيئان من شمس الخلود بنور مبين لأهل التقوى الذين يعرفون مكانة هذين الحرمين فهم أهل المحبة والوصل ، فالبعيد النائي عنهما بائح بحبه لهما ، والقريب المجاور فيهما كاتم لحبه كما قال الشاعر :

أهل الهوى قسمان : قسم منهموا كتموا وقسم بالمحبة باحوا
فالكاتمون لسرهم شربوا الهوى ممزوجة فكفتهم الأمداح

والبائحون بسرهم شربوا الهنا صرفاً فهزهم الغرام فباحوا
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم فإن التشبه بالكرام فلاح

أعزائي القراء ممن يصل إليهم هذا الكتاب ، أحبوا مكة وعظموها ، وتأدبوا في مشاعرها ، فإن الكعبة بأحجارها تشفع للطائفين بها وتدخل الجنة معهم ، وأحبوا طيبة ومعاهدها ، فهذا أُحُد الجبل الذي يحب رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يحبه ، وكان ثمرة هذا الحب أن يدخل هذا الجبل الجنة بأحجارها ، وليكن تخليص بيت المقدس وتحريره هاجساً في ضمائركم ولا يغادر أفكاركم لأنه قبلتكم الأولى .

هذا ، وقرأت الكتاب فوجدته نعم الكتاب إذ هو حقاً يحرض قارئه على الاستفادة بفضائل الحرمين وعلى إتمام الحج والعمرة لله ، لذا فإني أرغّب في اقتناء هذا الكتاب - لساكني الحرمين الشريفين والزائرين من الحجاج والمعتمرين خاصة ولغيرهم من الناس عامة - وقراءته للانتفاع به ، فإنه نافع بإذن الله ، لما حواه من سنن وآثار كمصابيح دجا تضيئ للمؤمن طريقه إلي الله تنال به الدرجات العلا ، وتلك غاية أرباب النهىٰ ، وفق الله لي وله ولهم ذلك إنه قدير وبالإجابة جدير .

وصل اللهم وسلم على سيد الثقلين وإمام الحرمين وعلى آله وصحبه وكل من نطق بالشهادتين ، وأدم اللهم نعمة الأمن والإيمان على هاتين البلدتين واحفظهما من كل سوء يارب المشرقين والمغربين عدد ما مر بالحدثين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د/ هاشم محمد علي مهدي
مدير عام المنظمات الدولية
برابطة العالم الإسلامي
مكة المكرمة

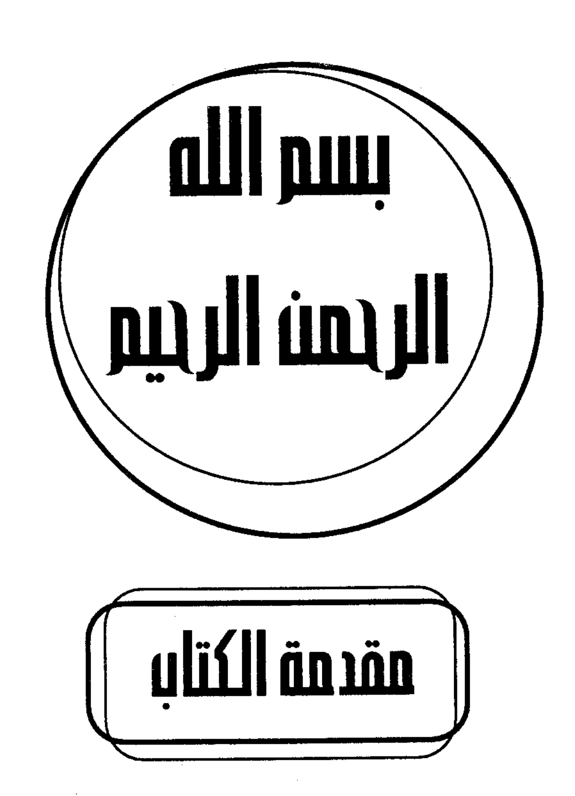

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد : فإن السيرة النبوية وسِيَرَ الصحابة من أقوى مصادر القوة الإيمانية وأسناها وأولاها وأبقاها ، التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شُعلةُ الإيمان وتشعل بها مجامرَ القلوب التي يُسرع انطفاؤها وخمودها في العواصف المادية ، والتي إذا خمدتْ وانطفأتْ فقدتْ هذه الأمة قوّتها الإيمانية وتأثيرها ، وأصبحت جثة هامدة تحملها الحياة على أكتافها ، وقد ضاقتْ عليها الأرض بما رحبتْ ، فلا طمأنينة لها ، ولا انشراح لصدرها ، بل يصبح صدر كل واحد منها ضيقاً حرجاً لفقدان قوته الإيمانية - التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين وإن تنعم ظاهره ، ولبس ما شاء وأكل

ما شاء ، وسكن حيث شاء ، فإن قلبه إن لم يخلص إلى الإيمان القوي اليقيني فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد ، ألا والقلب قرية إذا خربت وفسدت فأنّى لها العمران - إلا أن يشاء الله - .

والتاريخ شاهد بأن دعوة الإسلام لما جاءت إلى أهالي الحرمين السابقين من الأنصار والمهاجرين - رضي الله عنهم - فآمنوا بها حق الإيمان ، وصدّقوها وزيّنوا بها قلوبهم ، وما كان قولهم إذا دُعوا إلي الله ورسوله - صلوات ربي وسلامه عليه - إلا أن قالوا : ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا﴾ آل عمران : ١٩٣ .

وقالوا من قرارة قلوبهم : ﴿وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يُدخلنا ربُّنا مع القوم الصالحين﴾ المائدة : ٨٤ .

ووضعوا أيديهم في يد النبي ﷺ وكانت ﴿يد الله فوق أيدهم﴾ آنذاك فهان عليهم نفيسهم ونفوسُهم وأموالهم وأولادهم وعشيرتهم حتى شهدتْ بذلك الأعداء (**والفضل ما شهدت به الأعداء**) وتحملوا الشدائد في سبيل الدعوة إلى الله ، أفضى يقينها إلى قلوبهم ، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب ، والحب لله والرسول ﷺ ، والرحمة على المؤمنين والشدة على أعداء الدين الكافرين ، وشهد بذلك رب العالمين : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الفتح : ٢٩ ، وآثروا الآخرة على الدنيا وزخارفها ، ونسوا في نشر الإسلام لذاتهم وهجروا راحاتهم وغادروا أوطانهم .

إعلم يا ساكن الحرم وزائره : أن للحرمين فضائل ومزايا ، وفي الحقيقة ما هي إلا النعم والبشائر لأهلهما خاصة وللمسلمين عامة .

وينبغي أن تعلم أن من سنة الله سبحانه أنه يذكّر عباده النعم التي أنعم الله بها عليهم من نعم الدنيا والآخرة ، وذلك تشجيعا لهم ، وترغيبا في الأعمال الصالحة ليكون هؤلاء من الفائزين يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وإن للحرمين الشريفين حقاً وديناً في عنق كل مسلم ، وعليه وفاؤه ، ولا بد أن يكون أهلهما أكثر وفاءاً بحقوقهما من غيرهم ، لأن لأهلهم من البشائر والمزايا والنعم ما لا تتوفر لغيرهم من المسلمين في بلادهم ، كما سأذكرها في الصحائف الآتية إن شاء الله .

✪ ولا شك أن أهل الحرمين الشريفين أشد مسئولية من غيرهم ، حيث إنهم اختيروا ليكونوا مجاورين لخير البرية ﷺ ولبيت الله الحرام .

فأهلهما إن لم يقوموا بما جاء به نبيهم ﷺ لغيرهم من الناس أحرى أن لا يقوم به . وكذلك فإنهم أحرى ألاّ يجاوروا فيهما .

وقال الشاعر الفارسي مامعناه : إذا رفع الإيمان من الكعبة المشرفة - أى من قلوب أهلها - فأين يذهب المسلم لحصوله ويختبىء نفسه من شرّ شّر البرية ؟ وقال آخر :

إذا كان رب البيــت بالــدف ضـاربـا
فشيـمــة أهــل الــدار كلّهم الرقــص

● وينبغي أن تعلم يا ساكن الحرم وزائره ! أنه من شعار الصالحين أنهم إذا وجدوا نعمة من نعم الله تعالى عندهم ، يطلبون الإعانة من ربهم على شكرها ، وكذلك يطلبون منه التوفيق للأعمال الصالحة ، ويشتاقون إلى عمل يحبه الله ويرضاه كما قال سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام لربه جلت عظمته : ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليّ وعلى والدَيّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ النمل : ١٩ .

فالمدينة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - ومثلها مكة المكرمة مأرز للإيمان ، ومكان عبادة وتجارة مع الله ، قبل أن يكونا مكان تجارة مع الناس .

قال بعض السلف : كم من رجل بخراسان ، وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به . كما في إحياء علوم الدين وشرحه (٤ / ٢٨٠) اهـ .

وذكر القرطبي في تفسيره : ٨ / ٦٠-٦١ حيث قال : «إن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان وفي مثله تنشد الصوفية :

يقولون لي دار الأحبة قد دنت	وأنت كئيـب إن ذا لعجيــب
فقلت : وما تغني ديارٌ قريبـة	إذا لم يكن بين القلوب قريب
فكم من بُعيد الدار نال مراده	وآخر جار الجنب مات كئيب

● **هـذا** ، ونقـدم إلي سـاكني الحرمين الشريفين ولإخواننا الزائرين من الحجاج والمعتمرين هذا المؤلف : **(كيف تستفيد من الحرمين الشريفين ؟)** وذلك تشجيعاً لهم أكثر فأكثر ، رجاء أن ينفعني الله به وإخواني المسلمين لنكون أحب الناس إلى الله كما أن هاتين البقعتين أحب بقاع الأرض إلى الله .

اعـلم أن الكـتاب يحتوى عـلى بابين : **الـبـاب الأول** «في البشائر لمنسوبي الحرمين الشريفين من الساكنين فيهما والواردين إليهما ، ومكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين .

والباب الثاني : باب هام جداً للحجاج والزائرين فمن قرأه قبل أداء فريضة الحج يجد فيه قسطاً من أسرار الحج وأنواره مالم يحـصل له قبل ذلك إن شاء ا لله .

نذكر فيه كيفية الحج وأسراره الفريدة ، ليستفيدوا من هذا النسك حق الاستفادة ، وتكون حجتهم وعمرتهم مثل ما أمرهم الله تعالى قائلا : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ البقرة : ١٩٦ .

اللهـم ارحمنا إذا عرق الجبين ، وكثر الأنين ، وبكى علينا الحـبيب ، ويئس منا الطبيب ، اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب ، وودّعنا الأحباب ، وفارقنا النعيم ، وانقطع النسيم ، اللهم ارحمنا إذ نُسي اسمنا ، وبلي جسمنا ، واندرس قبرنا ، وانطوى ذكرنا ، اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر ، وتبدىٰ الضمائر ، وتنشر الدواوين ، وتوضع الموازين ، آمين يا رب العالمين .

وأقول في الأخير :

سلام من الرحمن نحو جنابه (ﷺ)
لأن سلامي لا يليق ببـابـه (ﷺ)

اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

حـرر : ١/٦/١٤٢٠هـ
بالمدينة المنورة

أبو طلحة
محمد يونس عبدالستار

البـاب الأول

في الفضـائل والبشائـرلمنسوبي الحرمين من السـاكنيـن والـواردين فيـهـمـا ومكانـة الحـرمين عـنـد المسلـمين

وفيه ثلاثة فصول وهي :

الفصل الأول : البشـــائـر لأهـل الحرميـن ومقتضاهـا

الفصل الثاني : فـضل الحرمين على سائر البلاد والمفاضلة بينهما

الفصل الثالث : بـعض البشائر والخصائص للمدينتين الكريمتين التي يستفيد منها القاطنون والحجاج والمعتمرون

الفصل الأول

البشائر لأهل الحرمين ومقتضاها

● إعلم يا أخي المكي وأخي المدني ! أن للحرمين الشريفين فضائل ومزايا وفي الحقيقة ما هي إلا النعم والبشائر لأهلهما خاصة وللمسلمين عامة .

وينبغي أن تعلم أن من سنة الله سبحانه أنه يذكّر عباده النعم التي أنعم الله بها عليهم من نعم الدنيا والآخرة ، وذلك تشجيعا لهم وترغيبا في الأعمال الصالحة ليكون هؤلاء من الفائزين يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وإن للحرمين الشريفين حقاً وديناً في عنق كل مسلم ، وعليه وفاءه ، ولا بد أن يكون أهلهما أكثر وفاءاً بحقوقهما من غيرهم ، لأن لأهلهم من البشائر والمزايا والنعم ما لا تتوفر لغيرهم من المسلمين في بلادهم ، كما سأذكرها في الصحائف الآتية إن شاء الله .

✪ ولا شك أن أهل الحرمين الشريفين أشد مسئولية من غيرهم ، حيث إنهم اختيروا ليكونوا مجاورين لخير البرية ﷺ ولبيت الله الحرام .

فأهلهما إن لم يقوموا بما جاء به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم لغيرهم من الناس أحرى أن لا يقوم به . وكذلك فإنهم أحرى ألاّ يجاوروا فيهما .

وقال الشاعر الفارسي مامعناه : إذا رفع الإيمان من الكعبة المشرفة – أى من قلوب أهلها – فأين يذهب المسلم لحصوله ويختبىء نفسه من شرّ شّر البرية ؟ وقال آخر :

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا
فشيمة أهل الدار كلّهم الرقص

● وينبغي أن تعلم يا ساكن الحرم ! أنه من شعار الصالحين أنهم إذا وجدوا نعمة من نعم الله تعالى عندهم ، يطلبون الإعانة من ربهم على شكرها ، وكذلك يطلبون منه التوفيق للأعمال الصالحة ، ويشتاقون إلى عمل يحبه الله ويرضاه كما قال سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام لربه جلت عظمته :

﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتَ عليّ وعلى والدَيّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ النمل : ١٩ .

✪ وقال د / ملا خاطر حفظه الله تعالى في «فضائل المدينة» ٣ / ٣٦٣ فمن أولى واجباتهم - تجــاه الحرمين الشريفين - أن يكونوا على قدر المسئولية التي نيطت بهم حيث إنهم اختيروا ليكونوا مجاورين وساكنين الحرمين ، وهذه نعمة تحتاج إلى شــكر ، مع استحضار هــذه النعمة ، والقــيام بواجبها تجــاه المولى عز وجل ، الذي اختارهم لهما . وعلى الســاكن أن يعلم أن هذا ابتلاء من الله تعالى ، ليشكر العبد فيكرَم أو يغفل فيهــان .

✪ كما عــليه أن يعــلم كم مــــن إنسان من المسلمين يتحرَّق ليرى - مجردَ رؤيةٍ - ويمرَّ بتلك الديار ، ولو لبعض الوقت ، ولو لحظات ، لتكتحل عينُه ، وقد يموت ولا يرى ، ولا يسعدُ به ، وأنت - أيها الساكن - ترتعِ بهذه النعمة ، غير مقدِّر لها ، ولا شاكر لمن أنعم بها عليك ، ولست قائماً بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقك .اهـ

وقال الدكتور أيضاً : لو علم المقيمُ في المدينة - ومثلُه في مكة - ماله من الله تعالى من الثواب الجزيل ، والأجر العميم ، والفضل الكبير - إنْ هو اتقى الله تعالى وأحسن عبادتَه ، وقام بأداء الحقوق المترتبة عليه - لو علم ذلك لبقي عاجزاً عن شكر الله تعالى على هذه النعمة ، إضافة إلى نعم الله تعالى على العبد المسلم المؤمن والله تعالى أعلم . المصدر السابق : ٣ / ٣٧٠ .

● قال بعضهم : علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ، ويشغل قلبه عن التفكير في آلاء الله ونعمــه عليه والقيام بشكرها ، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان ، واشتغاله عن الحق بسماع اللهو من الأغاني والهذيان ، فعلى الإنسان أن يحاسب نفسه .

وذكر صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان »٢ / ٣٠ مفسراً لقوله تعالى ﴿ والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيِّرا نعمةً أنعمها على قوم حتّى يغيِّروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ الأنفال : ٥٣ فقال :

● قــال الإمام الغزالي : إن النعمــة إنما تسلب ممن لا يعرف قدرها ،

واقنع في هذا الباب بمثال : «ملكٌ يكرم عبداً له ، فيخلع عليه خاصة ثيابه ، ويقربه منه ، ويجعله فوق سائر حجابه وخدامه ، ويأمره بملازمة بابه ، ثم يأمر أن يبتني له في القصور ، وتوضع له الأسرة ، وتنصب له الموائد ، وتزين له الجواري ، حتى إذا رجع من الخدمة أجلس هنالك ملكاً معزّزاً مكرماً مخدوماً ، وما بين خدمته إلى ملكه وولايته إلا ساعة من نهار أو أقل ، فإن أبصر هذا العبد بجانب باب الملك ، سائساً للدواب ، يأكل رغيفاً ، أو كلباً يمضغ عظماً ، فجعل يشتغل عن خدمة الملك بنظره إليه وإقباله عليه ، ولا يلتفت إلى ما له من الخلع والكرامة ، فيسعى إلى ذلك السائس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفة ، أو يزاحم الكلب على العظم ، ويعظمهما ويعظم ما هما فيه ، أليس الملك إذا نظر إليه على مثل هذه الحالة يقول : هذا السفيه لا يعرف حق كرامتنا ، ولم ير قدر إعزازنا إياه بخلعنا والتقرب إلى حضرتنا مع صرفنا إليه من عنايتنا وأمرنا له من الذخائر وضروب الأيادي ، ما هذا إلا ساقط عظيم الجهل قليل التمييز ، اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا .

فهذا حال العالم إذا مال إلى الدنيا ، والعابد إذا اتبع الهوىٰ ، فعليك أيها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف نعم الله تعالى عليك ، واحذر من أن تكون النعمة نقمة ، والولاء بلاء ، والعز ذلاً ، والإقبال إدباراً ، فإن الله تعالى غيور .

والمقصود أن من عرف الله ، وعرف قدر نعمته ، عليه ترك الالتفات إلى الدنيا فإن الله أجلُّ من كل شيء ، وذكره أفضل من كل ذكر وكلام .

● وحكي أن سليمان بن داود عليهما السلام مرَّ في موكبه ، والطير تظلّه والدواب من الوحوش والأنعام والجن والإنس وسائر الحيوانات عن يمينه ويساره ، فمر بعابد من عبّاد بني إسرائيل ، فقال : والله يا ابن داود ! لقد آتاك الله ملكاً عظيماً . - وفي قصة أخرى : قال العابد : سبحان الله لقد آتاك الله ملكاً عظيماً - فسمع ذلك سليمان ، فقال : لتسبيحة في صحيفة مؤمن - أو قولك : سبحان الله - خير مما أُعطي بن داود ، فإن ما أعطي ابن داود يذهب ، والتسبيحة تبقىٰ . ● فهذا إرشاد عظيم لمن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها ، وتوجه إلى الحضرة العلية فارغاً عن شواغل الدنيا . اهـ ما ذكره في «تنوير الأذهان» . **وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب .**

الفصل الثاني

فضل الحرمين على سائر البلاد والمفاضلة بينهما

الحجاز ! وما الحجاز ؟ وما أدراك ما الحجاز ؟

✪ هو مولد الإسلام ، ومبعثُ النور ، ومصدرُ الهدى ، تتجه إليه القلوبُ والأوجهُ كلَّ حين ، ويملأ كل قلب إليه حنين .

مَدْرج الإسلام ومنشؤه ، تُقتفَى هناك خُطاه ، في كل مكان أثرٌ مشهورٌ وفي كل بقعةً قولٌ مأثورٌ ، كأن أحجاره ورمالَه وسُهوله وجبالَه : ألواحٌ فيها سيرةُ الرسولِ وأقوالُه ، ومَشاهدُه وأفعالُه صلوات الله وسلامه عليه .

وفيه صدى القرآن ، وآياتُ الوحي والفرقان ، وهناكَ منازل القرآن ، ومدارسُ سُوَره ومَهبطُ بشائره ونُذره .

وفي الحجازِ كُتبتْ بَسْملةُ التاريخ الإسلامي وفاتحته ، وعنوان الحضارة العربية السنية ، وما تزالُ الذِّكَرُ - الذكريات - المجيدةُ تُوحَى من الحجاز ، وما تزالُ السِّيَرُ تُذكّرُ به .

وفي الحجاز نُشِّئتْ الجماعة الأولى ، على هدي القرآن وآدابه ، ورُشِّحَتْ لتُسَيْطِرَ على العالم بأحكامه . ورُبِّيَ خلفاءُ العالم وولاتُه وقُوّادُه وقُضاتُه ، ليحكُموا بعدل الله بين خلقه ، ويقسموا رزق الله بين عباده .

وما يزالُ الحجازُ ولن يزالَ : قُطباً تَتَّجهُ إليه القلوبُ والوجوهُ اتّجاه المغناطيس إلى قُطْبه ، ومَورداً تَهفْو - تتجه - إليه الأفئدةُ كما تهفو الطير إلى المناهل ، استجابة لدعوة الخليل عليه السلام : ﴿ ربنا إني أسكنتُ من ذُرِّيتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم ربنا ليُقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ إبراهيم : ٣٧ .

وفي الحجاز ذكرى الأخلاق العربية المحمدية ، والشمائل الحجازية . وقصص الشعر أقوالاً وأفعالاً ، وقصائدُ ووقائعُ يُدَوِّي بها الشَّمالُ حيث بنو عُذرةَ - قبيلة عربية كانت تسكن في وادي القُرى شمال المدينة - وجيرانهم إلى الجنوب حيثُ هُذيلُ - قبيلة عربية تسكن حول مكة والطائف - وأوطانهم وفُتُوَّةُ العرب في المواسم ، وأمثالُهُم في المكارم تُردِّدُها مجامعُ الحجيج منذ الجاهلية في مكة ومنَى وعرفات ، وتَصْدَى - الصدى : رجـع الصوت - بهـا محافل الأسواق في عُكاظَ ومَجَنَّـة وذي المجـاز .

أسفار من التاريخ للدنيا وللدين ، وصفحات من السِّيَر والعِبَرِ للمعتبرين . (قاله عبدالوهاب عزّام كاتب وأديب مصري رحمه الله)

✪ وقال بعضهم : ففي هذه البقعة المباركة التي تضمُّ مكة والمدينة ، نزل الوحي ، وبُعث سيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لهداية البشرية ، وانبثق نور الإسلام قويا يجذب الأبصار ، ويملأ القلوب ، ووُضعت الأسس والمباديءُ لحضارة إسلامية ازدهرت عدّة قرون .

وأصبحت هذه البِقاع مَهوَى أفئدة المسملين في شتي أقطارهم ، فمكة قبلة المسلمين حيثُ الكعبة المشرفة والمسجد الحرام ، ومشاعرُ الحج .

والمدينة مقرُّ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام والمسجد النبوي ، والمكانُ الذي شهد انتصارَ الإسلام ، واندحارَ الشرك .

ولطالما شهدت هذه الأماكن ألوانا من أمجاد العرب وأخلاقهم السنية وبطولاتهم وقصصهم وأشعارهم التي سجلها التاريخُ وردَّدتْها المحافل .اهـ .

✪ وما أعظم شأن الحجاز ، فيه بيت الله الحرام الذي نسبه سبحانه إلى نفسه الشريف قائلا : ﴿ طهرا بيتي ﴾ هو بيت الله الحرام وقد ذكره سبحانه في كتابه العزيز في خمسة عشر موضعا إضافة إلى كلمة ﴿ البيت الحرام ﴾ في موضعين .

✪ وهناك قبور بعض الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ، بمكة المباركة وبداخل المسجد الحرام ، تدل على فضل هذه البقعة المباركة أيضاً ، كما ذكره القرطبي في تفسيره : ٢ / ٨٨ وقال :

وروى محمد بن سابط عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «كان النبي من ا لأنبياء إذا هلكتْ أُمّته لحق بمكة فتعبّد بها هو ومن آمن معه حتى يموتوا ، فمات بها نوحٍ ، وهود ، وصالح ، وقبورهم بين زمزم والحِجْر» .

وذكر ابن وهب أ ن شعيباً عليه الصلاة والسلام مات بمكة هو ومن معه من المؤمنين فقبورهم في غربى مكة بين دار الندوة وبين بني سهم .

وقال ابن عباس : - رضي الله عنهما - في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما : قبر إسماعيل وقبر شعيب عليهما السلام ؛ فقبر إسماعيل في الحِجْر ، وقبر شعيب مقابل الحجر الأسود .

وقال عبدالله بن ضمرة السلولي : مابين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبياً ، جاؤوا حجاجاً فقُبروا هنالك . **صلوات الله وسلامه عليهم اهـ**.

وذكر ابن إسحاق وابن هشام وابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهم من المؤرخين أن إسماعيل وأمه مدفونان في الحجر .

✪ وينبغي أن تعلم ! أن من الفضائل لهاتين البقعتين المباركتين ، أنهما أحب البلاد إلى الله ورسوله ﷺ على وجه الأرض ، وأنهما مفتاحان للإيمان ، ونشر الإيمان والإسلام من هاتين المدينتين إلي أنحاء العالم بأسره ، ومن عظم مكانتهما أن الذي أعطاهما هذا الفضل والتبجيل ، وجعلهما محرّمتين إلى يوم القيامة ، هو الله سبحانه ، ليس غيره جلت عظمته .

وقد وردت نصوصُ تحريم مكة المكرمة في كتاب الله الكريم ، وفي الأحاديث النبوية ، وكما وردت النصوص في تحريم المدينة النبوية التي رواها بضع وعشرون صحابيا ، ومن تلك النصوص :

قال الله تعالى ﴿إنما أمرتُ أن أعبدَ رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرتُ أن أكون من المسلمين﴾ النمل : ٩١

وقد ورد قوله ﷺ في بيان تحريم البلدتين وهو : «اللهم إنَّ إبراهيم حرّم مكة ، ودعا لأهلها ، وإني حرّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيمُ مكةَ ...» رواه البخاري في كتاب البيوع «باب صاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وانظر أيضا صحيح مسلم : كتاب الحج «باب فضل المدينة» رقم (٤٥٤) .

ومن عظيم مكانة الحرم المكي أنه سبحانه وتعالى جعل هذا الحرم آمناً كما قال تعالي : ﴿ وقالوا إن نتبعِ الهدى معك نُتخطَّفْ من أرضنا أولم نمكِّن لّهم حرماً آمناً يُجْبَى إليه ثمرات كلِّ شيء رزقاً من لّدُنّا ولكن أكثرَهم لا يعلمون ﴾ القصص : ٥٧ .

وقال تعالى : ﴿ أوَلَم يروا أنّا جعلنا حرماً آمناً ... ﴾ العنكبوت : ٦٧ .

وأما مـا ورد في أن الله تعالى هو المحـرم لهما : فقـد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومَ فتح مكة : «إن هذا البلدَ حرّمه الله يوم خلق السموات والأرضَ ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ...» كما في صحيح البخاري كتاب الحج «باب لا ينفر صيد الحرم» وصحيح مسلم رقم :٤٤٥ ، كتاب جزاء الصيد «باب تحريم مكة» .

✪ وأما الحرم المدني فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «حُرّم مابين لابتَى المدينة على لساني» رواه البخاري ، كتاب فضائل المدينة : «باب حرم المدينة» .

وفي رواية لأحمد ٢ / ٣٧٦,٢٨٦ - بسند البخاري - : «إن الله حرم على لساني ما بين لابتي المدينة» انظر فتح الباري أيضاً (٤ / ٨٤) .

فثبت بذلك أن الحرمين الشريفين أفضل بقاع الأرض قاطبة ، وأكرمها وأعزها ، ولم يرد في غيرهما ما ورد في فضائلهما ، بل لم يبلغ جزءاً مما ورد فيهما .(إلا بيت المقدس) قاله الدكتور ملا خاطر حفظه الله .

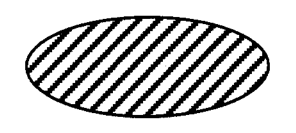

المفاضلة بين الحجرة والكعبة (الحرمين الشريفين)

● ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه «بدائع الفوائد» حيث قال : فإن ابن عقيل الحنبلي لما سئل عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة فقال : «إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل ، وإن أردت وهوصلى الله عليه وآله وسلم فيها ، فلا والله ! لا العرش وحملته ، ولا جنات عدن ، ولا الأفلاك الدائرة ، لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح اهـ .

وقال النووي : المختار الذي عليه الجمهور أن السموات أفضل من الأرض ، أي ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة ، وأجمعوا بعد على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد ، واختلفوا فيهما :

✪ فذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض الصحابة وأكثر المدنيين - كما قال القاضي - إلى تفضيل المدينة ، وهو مذهب الإمام مالك ، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد ، والخلاف فيما عدا الكعبة الشريفة ، فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقا . ذكره الصالحي في «فضائل المدينةالمنورة » ص ١٠٦-١٠٧ .

وقال الحكيم الترمذي في «نوادره» : سمعت الزبير بن بكار يقول : صنّف بعض أهل المدينة في المدينة كتاباً ، وصنف أهل مكة في مكة كتاباً ، فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعتَه بفضيلة ، يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه بها ، حتى برز المدنيُّ في خَلّة واحدة عجز عنها المكيُّ ،

✪ وأن المدني قال : إن كل نفس إنما خلقت من تربته التي يُدفن فيها بعد الموت ، وأن نفس الرسول ﷺ إنما خُلقت من تربة المدينة . فحينئذ تلك التربة لها فضيلة على سائر الأرض» من «وفاء الوفاء» للسمهودي ١ / ٣١-٣٢ .

● قال مصعب : لما قدم المهديّ المدينة استقبله مالك وغيره من

أشرافها على أميال ، فلما بصُر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسايَره ، فالتفت إليه مالك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك تدخل الآن المدينة ، فتمر بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولاد المهاجرين والأنصار ، فسلّم عليهم ، فإن ما على وجه الأرض قومٌ خيرٌ من أهل المدينة ، ولا خيرٌ من المدينة ، قال : ومن أين قلتَ يا أبا عبدالله ؟ فقال : لأنه لا يُعرف قبرُ نبيٍّ اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن كان قبرُ محمد ﷺ عندهم ، فينبغي أن يُعرف فضلُهم على غيرهم ، ففعل المهدي ما أمره به . («وفاء الوفاء» للسمهودي ١ / ٥٢ . و«فضائل المدينة» للصالحي ص ١٠٠) .

● وقال الصالحي الشامي رحمه الله بعد إيراده هذه القصة في كتابه المذكور : «وفيه إشارة إلى التفضيل لمجاورة قبر رسول الله ﷺ ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه» متفق عليه . ولم يخص جاراً دون جار .

● ومـــن تأمل هذا الفضل لم يرتَب في تفضيل سُكنى المدينة على مكة ، مع تسليم مزيد المضاعفة لمكة ، فتلك لها مزيد العدد ، وهذه تُضاعفُ البركةَ والمدَدَ ، ولتلك جوار بيت الله . ولهذه جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله اهـ - صلوات ربي وسلامه عليه - .

● قال أبو طلحة : يُروى أن رجلا كان جاراً لأبي دلف ببغداد ، فأدركته حاجة ، وركبه دين فادح ، حتى احتاج إلى بيع داره ، وطلب ثمنًا لها ألف دينار ، فقالوا له : إن دارك لا تساوي أكثر من خمسمائة دينار ، فقال : أجل ولكنني أبيعها بخمسمائة ، وأبيع جوارها بخمسمائة أخرى ، فبلغ القول أبا دلف ، فأمر بقضاء دينه ووصله وواساه . ولله در القائل :

يلومونني قد بعت بالرخص منزلي
ولم يعلموا جاراً هناك ينغُص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما
بجيرانها تغلو الديار وترخص

● فإذا كان هذه حالة الدور التي بجوار دار أبي دلف تغلو قيمتها وتكثر ، فما بالك في الدور التي بجوار سيدة الدور .

● ألا وهي دار سيد المرسلين وأفضل مخلوقات الله أجمعين ، النبي الأعظم والرسول الأكرم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين .

● ونِعم ما قال من قال : وما هي قيمة القبر - الدار أو الحجرة الشريفة - بدونه صلى الله عليه وسلم ، بل ما هي قيمة المسجد بدونه صلى الله عليه وسلم ، بل ما هي قيمة المدينة بدونه صلى الله عليه وسلم ، بل ما هي قيمة المسلمين كلهم بدونه صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لو لا الله . ثم لو لاه صلى الله عليه وسلم ، ولو لا رسالته والإيمان به ومحبته والإقرار بالشهادة التي لا تصح إلا به ، ما كانوا ولا قاموا ولا فازوا ولا نجوا اهـ .

● وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يُقبض النبيّ إلا في أحب الأمكنة إليه» . رواه أبويعلى الموصلي في مسنده رقم : ٢٢-٢٣ وإسناده ضعيف فيهما .

وقال الصالحي في الباب الثامن من كتابه «فضائل المدينة» بعد ذكر هذا الحديث :

قال السيد : وأحبها إليه أحبها إلى ربه ﷺ ، لأن حبه تابع لحب ربه ، وما كان أحب إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، كيف لا يكون أفضل ؟ قال : وقد سلكت في تفضيل المدينة إلى هذا المسلك .

فقد صح قوله ﷺ : «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» أي بل أشد أو وأشد كما رُوي به ، وأجيبت دعوته ﷺ حتى كان يحرك دابته إذا رآها من حبها» صحيح البخاري رقم : ١٨٨٦ اهـ .

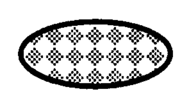

فلا عطر بعد المدينة

أي مدينة المصطفىٰ صلوات ربي وسلامه عليه ، وقد (تعطر جو المدينة بنَفَسه الطاهر ، واختلط أثيرُها بنبرات صوته الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، ولثمت الأرض جبهته صلى الله عليه وآله وسلم في سجوده ، وأقدامه الشريفه في مشيه ، وجنبَه الكريم في نومه ، ويديه في صلاته ، وتروّت ذراتها بدموعه ، وسعدت حيطانها وجدرانُها بالنظر إلى وجهه الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، وجبالها بالصعود عليها .

وأضاءت المدينة يوم دخوله صلى الله عليه وآله وسلم إليها ، وسّبحتْ بيده حصباؤها ، واشتاقت إليه منابرها ، واهتزّت تحته طرباً جبالها ورهبةً منبرها ونبعتْ من بين أصابعه مياهُها ، ونما وتكاثر بين يديه طعامُها ، وبكت بين يديه جمالُها ، وسبّح بين يديه طعامُها ، وأشبع العددَ الكثيرَ من لبنها .

وأحبه ﷺ أهلها ، فبادلهم صلى الله عليه وآله وسلم الحبَّ والوئام ، فأحبهم حباً لا يداني ، وأحبّ أطفالَهم ، ونساءَهم وأرضَهم ، وجبالَهم ، ومدينتَهم ، بل جعل آيةَ الإيمان حبَّهم ، ومن أحبّهم أحبه الله تعالى ، وهم موضعُ سرِّه وأمانته ، وهم شعارُه ، والناس دِثار ، والمحيا محياهم ، والمماتُ مماتهم ... ذكره الدكتور ملا خاطر في فضائل المدينة المنورة .

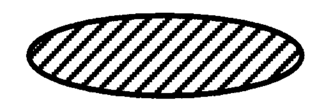

...

الفصل الثالث

بعض الفضائل والخصائص للمدينتين الكريمتين

● اعلموا يا أهالي الحرمين ! إن لهاتين المدينتين خصائص وفضائل لا تكاد تعد ولا تحصى ، فقد ذكرها بعض العلماء فزاد بعضهم على بعض .

✪ وسأذكر ههنا بعض الفضائل والمزايا والبشائر التي فيها دلالة لأهلهما في اكتساب الخيرات خاصة ولغيرها من الناس عامة ، وذلك إرشادا لهم وتحريضا على اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر فأكثر ، لأن الحصول على هذه الأعمال الصالحة ، والوصول إليها والعمل بها في هذه الأماكن الطيبة أسهل وأوفر لأهلهما من الواردين والوافدين إليهما ، ولأن لأهلهما مشابهة بآبائهم من المهاجرين والأنصار من حيث السكن بجوار بيت الله الحرام ، وبجوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فلا بد إذا أن يكون طريق أبنائهم طريقا واحدا ، للوصول إلى جناب الله وجناب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن هذه الخصائص والبشائر

اختيار الله تعالى إياهما لأحب الخلق إليه

● ومن فضلهما وعظم مكانتهما أنه سبحانه جعل مكة مولد سيد المرسلين ﷺ ومنشؤه ، ومبعثه ، فقد ولد صلوات الله وسلامه عليه في مكة المكرمة حتى بلغ ﷺ ، ثم تزوج بخديجة رضي الله عنها هناك ، إلى أن بلغ نبي الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة من عمره المبارك ، حيث أعلن رسالته بأمر من المليك المقتدر .

✪ فلما اشتد أذى الكفار والمشركين بالنبي الرحمة ﷺ وبأصحابه الكرام رضي الله عنهم ، وضيقوا على هؤلاء المؤمنين الأرض المقدسة بأخلاقهم السيئة حسدا من عند أنفسهم كما قال عمرو بن الأهتم التميمي رضي الله عنه :

لعَمـــرُك ما ضاقــتْ بلادٌ بأهلها   ولكن أخـلاق الرجـــال تضـيق

وقال أحـدهم :

إذا دخـل الثـقيل بـأرض قـــوم   فـما للساكـنيـن ســوى الرحيـل

● **وقيـــل** : أضيق السجـون معاشـرة الأضـداد ، وقال الأصمعي : دخلت على الخليل وهو جالس على الحصير الصغير ، فأشار إليّ بالجلوس ، فقلت : أضيّق عليك ، فقال : مه إن الدنيا بأسرها لا تسع متباغضين ، وإن شبراً بشبر يسع المتحابين ، ولله در القائل :

رحـب الـفـلاة مع الأعـداء ضيّقـة
سـمّ الخـيـاط مـع الأحبـاب مـيـدان

●وأذاقوهم أنواع العذاب ، ولم يسلم من عذابهم شريف ولا ضعيف حتى النبي الأكرم الذي كان يُعرف بينهم بالأمين ، الصادق ، الوفي في ما يقول صلوات الله وسلامه عليه ، لذا أذن الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة من مولده أم القرى إلى المدينة . فالآمر هو الرب سبحانه ، وهو الذي أختار لنبيه ﷺ هذه البلدة الطيبة ، لتكون مهاجراً ومسكناً ومضجعاً له ،ﷺ وهكذا أكرم الله سبحانه أختها (مكة) بالولادة فيها والنشأة والبعثة .

✪ فيا سلالة الأكرمين ! أختار الله تعالى لكم ولآبائكم هذه البلدة الطيبة - ومثلها مكة المكرمة - لتسكنوا فيها ، فهذه نعمة سنية أنعم الله بها عليكم ، فاشكروه على نعمه ثم اجتهدوا في اكتساب الطيبات من الأعمال والأقوال فيهما ، لأن ﴿ الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ حتى تكونوا أحباء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان آباؤكم من المهاجرين والأنصار أحب الخلق إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقد فعلوا ما أمروا بدون أي تأخير وتسويف .

✪ فقال يزيد بن أبي حبيب : أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا لا يأكلون الطعام للتنعم واللذة . ولا يلبسون ثياباً للجمال ، ولكن

كانوا يريدون الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقوّيهم على عبادة ربهم ، ومن اللباس ما يستر عوراتهم ويكنهم عن الحر والبرد . (اهـ من التفسير القرطبي رحمه الله١٣ / ٥٠).

✪ فيا عباد الله ! أفيضوا بالخيرات وافعلوها دائما ما استطعتم ، بأقلامكم وألسنتكم ، وبجاهكم وسلطانكم ، وبأموالكم وأنفسُكم ، وليكن محياكم ومماتكم وحركاتكم وسكناتكم لله رب العالمين ، ولكم في حياة آبائكم قدوة طيبة ، فكانوا يعيشون لإسعاد الناس ، ويجوعون ليشبع الناس ، ويشقون ليسعد الناس ، ويسهرون لينام الناس ، ويحترقون ليستضيء الناس ، حتى أنزل الله في شأنهم ومن تبعهم منهم ومنا إلى يوم القيامة فقال : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهر ﴾ التوبة : ١٠٠ .

والآية مدنية تدل على الثناء على أهل مكة والمدينة من المهاجرين والأنصار وليس في ذلك حظ لمن لم يعمل على شاكلتهم .

ومن المعلوم أن الله سبحانه أختار أهل الحرمين السابقين لنصرة دينه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وحرّضهم على ذلك قائلا : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ وكذلك جعلها الله تعالى - المدينة - مظهر الدين والإيمان ، وذلك بسبب أهلها وعلى رأسهم سيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

✪ ومن المعلوم أيضاً أن أهل الحرمين السابقين أول من شرفهم الله من حيث أنه أنزل القرآن بلغتهم ، وهم أفهم الناس له ، وكانوا أساتذة العجم ، والعجم تلاميذ آبائكم يا أهل الحرم ! فينبغي أن تكونوا أقوم الناس بالقرآن والسنة وأعلمهم بمقتضاهما ، وهكذا كان خياركم وصفوتكم من الخلص من المهاجرين والأنصار ومن شابههم وتابعهم رضي الله عنهم أجمعين .

✪ وهذا رب محمد ورب قومه صلى الله عليه وآله وسلم يوحي إليه ويقول : ﴿ فاستمسك بالذي أوحيَ إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾ الزخرف : ٤٤ .

أى خذ القرآن المنزل على قلبك ، فإنه هو الحق ، وما يهدي إليه هو الحق المفضى إلى الصراط المستقيم ، الموصل إلى جنات النعيم ، الخير الدائم المقيم .

قوله تعالى : ﴿وسوف تسئلون﴾ أى عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له ؟ قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله . ● وقد ذكرنا خطبة سيدنا معاوية رضي الله عنه فيما سبق حيث قال : «يا معشر العرب ! لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به . اهـ .

● وهذا مشعار بن ذي المشعار الهمداني رضي الله عنه أحد العرب ، يعظ قومه قوم همدان ، ويحرضهم على نصرة الدين ويقول : كما ذكره ابن سيد الناس وقال : (وكان ملك أهل ناحيته ، وكان متألها – متعبداً – فقال : يا معشر همدان ! إنه يقال للمحقِّ : صدق فوك . ويقال للرامي : لا تشل يدك ، إن الكذب يُزري بالدين ، والفحش يزري بالحسيب . وقد قامت لكم الخطباء نعَمتْ أفواههم ، ورماة لكم شُلّتْ أيديهم فكذّبوا الحق وسفّهوا الحليم ، فانصروا هذا الدين الذي به نُصرتم ، واذكروا اليوم ما كنتم فيه أمس من العافية والعز ، ولا تقولوا لا نطيع مادام فيهم عاص ؛ فإن الدنيا لا يكون إلا فيها عاص ومطيع .

واعلموا أنه لو أراد الله أن لا يجعل دون يده يداً ناصرةً ولا خاذلةً ، ولا يجعل بينه وبين خلقه رسلاً ناهيةً ولا آمرةً ، وأن يقطع الأسباب من العباد ؛ حتى يديل منه إلى خلقه ، فَعَلَ . ولكنه أظهر الأسباب ، وحجب الغيوب ، ليعمل الناس على اليأس والرجاء . وقد كان من فضلكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليكم في رحالكم ، وأوصى بعضكم ببعض ، وأعطاكم أرض البون ، فلكم بها الفضل على الناس» (كما في الإصابة ٣ / ٤٩٦ . ومنح المدح ص ١٦١).

اللهم وفق جميع المسلمين أن يتمسكوا بالذي أوحي إلى نبيهم ﷺ ، واجعل أهل الحرمين كما يظُن بهم المسلمون في بلادهم ، وكما سمع الناس عنهم الخير ، إنهم سيكونون مثالا ومجسما للإسلام ظاهراً وباطناً ، فيتأثر الوافدون بدينهم وأخلاقهم ويقتدون بهم ، ثم يعودون إلى أوطانهم ، وفي جعبتهم هدية الدين الثمينة . آمين .

القيام في الحرمين و الحث على الموت بهما

● ومــن البشــائر أيضاً أن جعــلهما الله تعالي محــلا للقيام فيهما ، وللذكر والعبادة فيهما ، لذا أمر الله سبحانه وتعالي أبانا إبراهيم عليه السلام بتطهير البيت من الأوثان والشرك ، والأنجاس والدماء ، حتى يكون صالحا للصلاة والذكر والعبادة فقال سبحانه تعالى عن مكة المكرمة : ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس﴾ .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية ٧ / ٢٠٩ : ﴿قياما للناس﴾ أي صلاحا ومعاشا ، لأمن الناس بها ، ولهذا يكون «قياما» بمعنى يقومون بها .

● ثم ذكر بعد قليل وقال : « ... فعظم الله سبحانه في قلوبهم البيت الحرام ، وأوقع في نفوسهم هيبته ، وعظم بينهم حرمته ، فكان من لجأ إليه معصوما به ، وكان من اضطُهد محميّا بالكون فيه ، قال الله تعالي : ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويُتخطّف الناس من حولهم﴾ العنكبوت : ٦٧ . اهـ .

وقال تعالى عن مكة أيضاً ﴿وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ الحج : ٢٦

قال ابن كثير : فالطائف به - أي البيت - معروف ، وهو أخص العبادات عند البيت ، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها اهـ ٣ / ٢١٧ .

وقد أخبر سبحانه وتعالى عن بركة مكة المكرمة في كتابه الكريم ، وجعله مباركاً على لسانه وهدى للعالمين فقال :

﴿إن أوّل بيت وضع للناس لَلذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ○ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ...﴾ آل عمران : ٩٦-٩٧ .

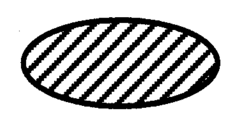

يا بشرى هذه مكة

● وما أعظم شأنها ، قال د/ ملا خاطر : قد تعطر جوّ مكة بنفَسه الطاهرِ عليه وآله الصلاة والسلام ، وبيوتاتُها بنبرات صوته الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولثمت ساحات حرمها وأباطحُها وعرصاتُها جبهتَه الكريمةَ في سجوده ، وأقدامَه الشريفةَ في مشيه ، وجنبَه الكريمَ في نومه ، ويديه في صلاته ، وتروّت ذراتُها بدموعه ، وسعدت حيطانها وجدرانها بالنظر إلى وجهه الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، وجبالها بالصعود عليها .

✪ (**مكة**) سعد غارُها الأول في تنزّلِ الوحيِ عليه ، وغارُها الثاني في إيوائه ليالي هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ، وجبالُها في ارتجافها تحت قدميه صلى الله عليه وآله وسلم ، وشجرُها وحجارتُها بالسلامِ عليه صلى الله عليه وآله وسلم

✪ (**مكة**) تعبت فيها قدماه - وما كلّت وما ملّت - وهو يلاحق القبائلَ في أسواقها ، والوجهاءَ في خيامها ، وهو يعرضُ عليهم الإسلامَ ، فما استجابوا أولاً ، ثم جاءوا طائعين مختارين ، بإرسال وفودهم بتقديم إسلامهم ، فقبل ذلك منهم ﷺ . (اهـ من كلام د/ ملا خاطر) .

فهذه الفضائل وغيرها - كما سيأتي بعد قليل - تدعونا إلى المجاورة بالحرم المكي فكما أن من مات بالمدينة : يبعث يوم القيامة من الآمنين ، ويشفع له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكذلك من مات في مكة بُعث يوم القيامة من الآمنين ، وذلك لنيل الشفاعة ، ولحشره مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «من مات في أحد الحرمين بُعث آمناً يومَ القيامة» مجمع الزوائد (٢ / ٣١٩) والبيهقي في شعب الإيمان ٨ / ٨٩-٩٠ . وكشف الخفا ٢ / ٢٨٠ .

تنبيه : قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه موسى بن عبدالرحمن المسروقي ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وفيه عبدالله بن

المؤمل ، وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه أحمد وغيره ، وإسناده حسن . اهـ
قلت : أما موسى فهو ثقة من رجال التهذيب ، قال الحافظ في التقريب (٢ / ٢٨٥) ثقة من كبار الحادية عشرة .

وأما ابن المؤمل : فقد وثقه ابن سعد وابن نمير ، وقال ابن معين - في رواية الدوري : صالح الحديث ، وقال ابن أبي مريم عنه : لا بأس به . والله أعلم . (ذكره د / ملا خاطر في «مكانة الحرمين عند المسلمين» ص ١٣٩) .

✪ فكذلك أهل الحرمين الشريفين : هم أول الناس بعثاً ، ثم حشراً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنهم في الدنيا جيرانه صلى الله عليه وآله وسلم ، وجيران بيت الله العتيق ، و في الآخرة في زمرته صلوات الله وسلامه عليه ، وإن شاء الله تعالى يكونون معه في جنات النعيم ، بشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم : على سُررٍ موضونة متكئين عليها متقابلين ○ يطوف عليهم ولدان مخلدون ○ بأكواب وأباريق وكأس من معين ○ لا يُصَدّعون عنها ولا يُنزِفون ○ وفاكهة مما يتخيرون ○ ولحمِ طيرٍ مما يشتهون ○ وحورٌ عينٌ ○ كأمثال اللؤلؤ المكنون ○ جزاء بما كانوا يعملون ○ ويشربون معه ﷺ من لبن لم يتغير طعمه . وما ذلك على الله بعزيز .

فعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : «أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ثم عمر ، ثم آتي أهل البقيع ، فيحشرون معي ، ثم انتظر أهل مكة ، فأحشر بين الحرمين» . (كما في سنن الترمذي رقم : ٣٦٩٢ . وصحيح ابن حبان : ٩ / ٢٣-٢٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الشفاعة لأهل الحرمين الشريفين والطائف : «أول من أشفع له من أمتي : أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل طائف» كما في المعجم الأوسط ٢ / ٤٩١ ومجمع الزوائد ١٠ / ٥٣ ، وذكره الحافظ في الإصابة ٤ / ٣٨٢ .

فهذه الفضائل المذكورة في الأحاديث وغيرها كثير تحرض على القيام واتخاذ الأصل بمكة ، ومثل ذلك في المدينة بل أكثر منها .

يا بشرى هذه مدينة المصطفى ﷺ

● فمــن أراد أن ينال نفس هــذه الفضائل - بل أكثر منها - ومن أراد من أهل المدينة أن يموت بها ، وتكون أرضها مسكناً ومضجعاً له ، وينال بذلك شفاعة النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فعليه أن يسكن في المدينة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :

«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها» . (رواه أحمد في مسنده ٢ / ٧٤ والترمذي في سننه : ٣٩١٧ وصححه ، وابن حبان في صحيحه ٦ / ٢١ وصححه ، وابن ماجه رقم : ٣١١٢) .

✪ قوله ﷺ : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ...» الحديث قال الطيبي رحمه الله شارحاً لهذا الحديث : أمر له بالموت بها ، وليس من استطاعته ، بل هو إلى الله تعالى ، لكنه أمر بلزومها ، والإقامة بها بحيث لا يفارقها ، فيكون ذلك سببا يموت فيها ، فأطلق المسبب وأراد السبب كقوله تعالى : ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (كما في تحفة الأحوذي ١٠ / ٤١٩) .

وقال السمهودي رحمه الله في «وفاء الوفاء» ١٣ / ٢٧٦ : وبالجملة فالترغيب في الموت في المدينة لم يثبت مثلُه لغيرها ، والسكنى بها وُصلةٌ إليه ، فيكون ترغيبا في سكناها ، وتفضيلا لها على غيرها ، واختيار سكناها هو المعروف من حال السلف ، ولا شك أن الإقامة في حياته صلى الله عليه وآله وسلم أفضل إجماعا ، فنستصحب ذلك بعد وفاته ﷺ حتى يثبت إجماع مثله برفعه ... اهـ .

● **قــال أبــو طلحة** : فمغبون ومحروم من لم يختر المجاورة والسكن في المدينة مع القدرة والإمكان ، والمدينة منبع فيض بحار أنوار الملة الإسلامية ، وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ٢ / ٥٨ وقال :

«وجدير لمواطنَ عُمرتْ بالوحي والتنزيل ، وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجّت عرصاتها بالتقديس

والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ﷺ ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ﷺ ما انتشر مدارسُ وآيات ، ومساجد وصلوات ومشاهدُ الفضائل والخيرات ، ومعاهدُ البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ، ومواقف سيد المرسلين ، ومتبوأ خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، حيث انفجرت النبوة ، ومواطنُ طويت فيها الرسالةُ ، وأول أرض مسّ جلدَ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ترابُها ، أن تُعظَّم عرصاتُها ، وتتنَسَّم نفحاتها ، وتقبّل رُبوعها وجُدرانها اهـ . (لا يشرع إلا تقبيل الحجر الأسود كما هو معروف) .

✪ وذكر صاحب «عمدة الأخبار في مدينة المختار ﷺ» ص ٢٧ : وقال : «روينا بسند صحيح أن الرشيد لما حج سأل مالكاً فقال : هل لك داراً ؟ فقال : لا ، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال : اشتر بها داراً ، فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الشخوص - الرحيل - قال لمالك : ينبغي أن تخرج معي إني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ ، كما حمل عثمان - رضي الله عنه - على القرآن .

فقال : أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ، لأن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار ، فحدّثوا ، فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال ﷺ : «اختلاف أمتي رحمة» ، وأما الخروج معك فلا سبيل إليه ، قال ﷺ : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» .

وقال ﷺ «المدينة تنفي خبثها» وهذه دنانيركم هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها» **يعني أنك تلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إليّ ، فلا أوثر الدنيا على المدينة .**

واعلم أخي الكريم ! أنه لا يختار مجاورة المدينة الشريفة ، ولا يؤثر استيطانها غالباً إلا من يدعي محبة هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه ، فليكن لدعواك شواهد وعلامات ، وقرائن وأمارات ... الخ .
(اهـ ما ذكره صاحب «عمدة الأخبار)

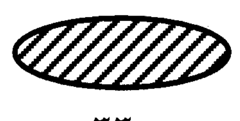

المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

● فعــن سعد بن أبي وقــاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إني أحرم ما بين لابتَي المدينة ، أن يقطع عضاها ، أو يُقتل صيدُها . وقال : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعُها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدلَ الله فيها من هو خير منه . . .» الحديث رواه مسلم في كتاب الحج رقم : ٤٥٩ .

ذكر الحافظ في الفتح : ٤ / ٩٣ : قال البيضاوي : المعنى أنه يفتح اليمن فيعجب قوما بلادها ، وعيش أهلها ، فيحملهم ذلك على المهاجرة إليها بأنفسهم وأهليهم ، حتى يخرجوا من المدينة ، والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم ، لأنها حرم الرسول وجواره ﷺ ومهبط الوحي ومنزل البركات ، لوكانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية ، والعوائد الأخروية ، التي يستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية ، العاجلة بسبب الإقامة في غيرها اهـ .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إلا أبدل الله فيها من هو خير منه» قال في المرقاة شرح المشكاة ٢ / ١٥ : «والمعنى أنه لا يضر المدينة عدمه ، بل ينفعها فقده ، وذهب إلى غيرها شره ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ محمد : ٣٨ .

✪ وفيه تنبيه أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صابراً ، بل شاكراً على إقامته في الحرمين الشريفين ، ولا ينظر إلى ما فيما عداهما من النعم الصورية ، لأن العبرة بالنعم الحقيقية الأخروية لحديث : «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» .

(قال أبو طلحة : وقال تعالى : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ ولا دوام لها ﴿ وإن الدارالآخرة لهي الحيوان ﴾ العنكبوت : ٦٤ ، أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها ، قاله المفسرون . فالعاقل يؤثر ما يبقى على ما يفنى ، وقال بعضهم : الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها) اهـ

وقد قال عز وجل : ﴿ ألم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس مَن حولهم ﴾ العنكبوت : ٦٨ ، وقال : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم

من جوع وآمنهم من خوف ﴾ قريش : ٣-٤ .

وأصل الحياة الطيبة في وصول الرزق ، وحصول الأمن ، الذي به كمال الرفق اهـ ماذكره صاحب المرقاة

✪ قوله ﷺ : «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» قاله ثلاثا كما في رواية البخاري . وقد قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ النجم : ٣-٤ ، فهذه منقبة عظيمة ، ومزية فريدة ، وفي ذلك كفاية في فضل المدينة النبوية على غيرها ، والترغيب في سكناها .

● ويرحم الله الإمام أبا عبدالله محمد بن أحمد الأندلسي الأعمى حيث قال :

فيا راحلا عنها لدنيا يصيبها	أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج من حوز النبي وحرزه	إلى غيره ؟ تسفيه مثلك قد حقّا
فكم قاعد قد وسّع الله رزقه	ومُرتحلٍ قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الأنام ومت به	إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى
إذا قمتَ فيما بين قبر ومنبر	بطَيبَةَ فاعْرف أين منزلك الأرقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد	ومَن حار في ترحاله فهو الأشقى

● وأنشد أبو محمد عبدالله بن أبي عمران البِسكري المتوفى سنة ٧١٣هـ :

لا تجعلوا عنها الرحيل صناعة   إني أرى ذاك الرحيل إضاعة

وإذا أقمتم كان ذلك طاعة   (فلكَم أراكم قافلين جماعة

في إثر أخرى طالبين سواها)

فإذا امرُؤٌ لم يرتحل من شدة   فيها وعاش بها بأيسر بُلغة

فاقنع هناك ولو بأدنى لقمة   (أفٍّ لمن يبغي الكثير لشهوة

لرفاهة لم يدر ما عقباها)

✪ قال أبو طلحة : ومن ترك المدينة - وكذلك مكة - للُقمة : فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» اهـ .

فضل أربعين صلاة في مسجد رسول الله ﷺ

• ومن البشائر لأهل المدينة وغيرها من المسلمين : أن من صلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين صلاة متواصلة لا تفوته منها صلاة أعطاه الله سبحانه وتعالى ثواباً جزيلاً ، ويمنح للمصلي مزايا جليلة ، وكذلك يكرمه ربه سبحانه بعدد من الإكرامات ، ما لا توجد في غيرها من المساجد على وجه الأرض .

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة ، لا تفوته صلاة ، كُتبت له براءة من النار ، ونجاة من العذاب ، وبرىء من النفاق» . رواه أحمد في مسنده ٣ / ١٥٤ .

وفيما يلي خلاصة آراء المتقدمين والمعاصرين حول هذا الحديث

• قال الهيثمي بعد أن أورد هذا الحديث : «رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، كما في مجمع الزوائد ٤ / ٨ «باب فيمن صلى بالمدينة أربعين» .

وقال الحافظ المنذري : «رواه أحمد ، ورواته رواة الصحيح ، والطبراني في الأوسط ، وهو عند الترمذي بغير هذا اللفظ» راجع الترغيب والترهيب للمنذري : ٢ / ٢١٥ «باب الترغيب في صلاة المسجد الحرام ومسجد المدينة» .

وقال ابن حجر : «نبيط بن عمر- أحد رواة الحديث - ذكره ابن حبان في الثقات» .

• **ويرى الألباني حفظه الله** : أن سند هذا الحديث ضعيف ، لأن فيه نبيطاً وهو لا يُعرف إلا في هذا الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات على قاعدة توثيق المجهولين وهو عمدة الهيثمي في قوله في المجمع (٤ / ٨) «ورجاله ثقات» ، وأما قول المنذري في الترغيب : «ورواته رواة الصحيح» فوهم واضح ، لأن نبيطا هذا ليس من رواة الصحيح ، بل ولا

روى له أحد من بقية الستة . ذكره الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» ١ / ٣٦٦ رقم الحديث : ٣٦٤ .

● **قال الشيخ عطية محمد سالم حفظه الله** في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» ٨ / ٥٧٣ رداً على من ضعف هذا الحديث :

«اجتمع على توثيق نبيط كل من : ابن حبان، والمنذري ، والبيهقي ، وابن حجر ولم يجرحه أحد من أئمة هذا الشأن ، **فمن ثَمّ لا يجوز لأحد أن يطعن ولا أن يضعف من وثقته أئمة معتبرون ولم يخالفهم إمام من أئمة الجرح والتعديل** .

ذلك ولو فرض وقدر جدلاً أن في السند مقالا ، فإن أئمة الحديث لا يمنعون إذا لم يكن في الحديث حلال أو حرام أو عقيدة ، بل كان باب فضائل الأعمال لا يمنعون العمل به ، لأن باب الفضائل لا يشدد فيه هذا التشديد . اهـ

✪ قول الشيخ عطية سالم : «**لا يجوز لأحد أن يطعن ... الخ**»

● **قال أبو طلحة** : نعم القول قول الشيخ عطية في هذا المقام ، وقوله هذا من باب النصيحة للمؤمنين - جزاه الله خيراً - وإني إلى تصديق قوله قاصد ، ولي في ذلك شهادة من قول يحيى بن معين ، ومن بعض الآثار والآيات ، أذكرها إتماما للفائدة والنصيحة للمسلمين .كما ذكره الذهبي في «التذكرة» فقال :

● قال محمد بن مهرويه : سمعت ابن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول : «إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة . قال محمد : فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يحدث بكتاب الجرح والتعديل ، فحدثتُه بهذا فبكى وارتعدت يداه ، وسقط الكتاب ، وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية اهـ من «تحفة الأحوذي» ١٠ / ٣٣٠ .

فحذار من التضعيف والطعن فيمن وثقته أئمة معتبرون من الجرح والتعديل ، لأن الحديث من باب الفضائل ، وهو الذي عليه الجمهور وقالوا : يعمل به في الفضائل دون الأحكام ، كما ذكر السخاوي في «القول البديع» ص ٢٥٨ فقال :

قال شيخ الإسلام أبو زكريا النووي رحمه الله في «الأذكار» : قال

العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم : يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعاً ... إلى آخر البحث .

● ولأن باب الفضائل لا يشدد فيه مثل هذا التشديد ، ● وما أجود ما عرض للإمام مالك رحمه الله في هذا الشأن ، فعمل به مع أنه كان خلافاً لمذهبه ، خشية أن يكون من الذين : ﴿إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ كما ذكر القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ١٩ / ١٠٩ فقال :

✪ «يُذكر أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر ، وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر ، فجلس ولم يركع ، فقال له صبيّ : يا شيخ قم فاركع . فقام فركع ولم يحاجّه بما يراه مذهباً ، فقيل له في ذلك ، فقال : خشيتُ أن أكون من الذين : ﴿إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ المرسلات : ٤٨ اهـ

✪ قلت : وهناك قول آخر مثله وهو قوله تعالى : ﴿أرأيت الذي ينهى ○ عبدا إذا صلى ○﴾ العلق : ٩-١٠ . فحذار من الوقوع فيه أيضاً .

✪ وذكر في «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» ٤ / ٥٧٣ : فقال : قال أبو الليث رحمه الله : والآية (المذكورة) عظة لجميع الناس ، وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة .

✪ وقال ابن الشيخ في حواشيه : وهذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل ، لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد ، وقد احتاط فيه الأكابر .

✪ حتى روي عن علي رضي الله عنه ، أنه رأى في المصلّى أقواماً ، يصلّون قبل صلاة العيد ، فقال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك فقيل له : ألا تنهاهم ؟ فقال : أخشى أن ندخل تحت وعيد قوله تعالي : ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى﴾ فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطاً .

✪ وأخذ أبو حنيفة هذا الأدب الجميل ، حتى قال له أبو يوسف : أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع «اللهم اغفرلي ؟» قال : يقول : «ربنا لك الحمد» ويسجد ، ولم يصرح بالنهي . اهـ .

● وقال تعالى : ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أي الدار الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي عمل لها عملها من الطاعات . ﴿وهو مؤمن﴾ لأن الطاعات لا تقبل إلا من مؤمنٍ . ﴿فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ أي مقبولا غير مردود . وقيل : مضاعفاً . أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر ، وإلى سبعين وإلى سبعمائة ضعف ، وإلى أضعاف كثيرة ؛ كما روي عن أبي هريرة وقد قيل له : أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «إن الله ليَجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟» فقال سمعته ﷺ يقول : «إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة» انظر تفسير القرطبي ١٠ / ١٥٤ .

وذكر القرطبي في تفسيره ٢ / ٨٠ : وفي حديث أبي ذر : «الصلاة خير موضوع فاستكثر أو استقل» خرجه الآجري . اهـ

فحذار من الوقوع في مثل هذه الأقوال في باب الفضائل حتى لا نشابه أعداء الله لعنهم الله اهـ .

وبناء على هذا المبدأ المتعارف لدى المحدثين قال أبو بكر جابر الجزائري في «منهاج المسلم» ص ٣٦٤ : «**وقد ورد الترغيب في صلاة أربعين صلاة في المسجد النبوي الشريف**» **اهـ .**

فثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن من صلى أربعين صلاة في المسجد النبوي الشريف كتبت له براءة من النار والعذاب والنفاق .

وقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى فيها : كتبت له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق» حديث حسن . كما في«سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني ٤ / ٦٢٨-٦٣١ .

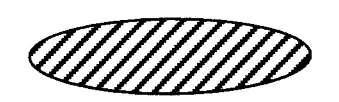

نعمة عظيمة من رب عظيم فاغتنموها أيها الناس

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في مضاعفة الأجر في الصلاة في مسجد الرسول ﷺ حتى جعلها خيراً وأفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وهذا الأجر عام في صلاة الفرض والتطوع ، كما قاله العلماء .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «صلاة في مسجدي هذا ، خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام» . (رواه البخاري في كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الحج رقم الحديث : ٥٠٥ - ٥٠٨) .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا ، أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام ، أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» (رواه أحمد ٣ / ٣٤٣-٣٩٧) .

وهذا يعني أن الذي يصلي صلاة واحدة في مسجد النبي ﷺ فكأنما صلى ستة أشهر وعشرين يوما ، وذلك بحساب خمس صلوات يوميا ، ومن صلى خمس صلوات يوميا من الصلوات المفروضة فكأنه صلى سنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وذلك من حيث الأجر والثواب .

● **وكذلك من صلى** في الحرم المكي صلاة واحدة ، فهي أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ، ولا يستطع الإنسان أن يصلي مائة ألف صلاة إلا في مدة ٥٥ سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، ومن صلى الصلوات الخمس في الحرم المكي في كل يوم فكأنه صلي (٢٧٧) مائتي سنة وسبعة وسبعين سنة و (٧) سبعة أشهر و عشر ليال . ١٠ - ٧ - ٢٧٧

ولو راعينا أجر الجماعة في المسجد ٢٥ أو ٢٧ درجة ليعجز مثلي عن حساب أربعين صلاة في الحرمين الشريفين . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ،

والله ذو الفضل العظيم ، وهو الذي يوفق لأداء الصلوات في بيته لمن يشاء . لأن صاحب البيت لا يسمح في دخول بيته إلا لأحبائه وأوليائه ، فكيف في بيت ملك الملوك، الكريم الوهاب .

وقال الشيخ عطية : وليعلم أن الغرض من هذه الأربعين هو التعود والحرص على الجماعة ، أما لو رجع وترك الجماعة وتهاون في شأن الصلاة - عياذا بالله - فإنها تكون غاية النكسة ، نسأل الله العافية . اهـ

فيا كاسب الدنيا وتاجرها الذي يجمع المال ويعدده ، ويحسب كل يوم ماذا كسب فيه وماذا أنفق !؟؟ انظر إلى هذا الكسب كسب الآخرة ، ثم انظر إلى جود الجواد الكريم على عباده على عمل يسير !!

● أخي في الله آثر الدين على الدنيا وكسبها ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، فهذا الشباب وهذه الحياة لا يدومان ، فاتجر مع الله سبحانه تجارة لن تبور ، واعط من وقتك ساعة واحدة لله سبحانه من ٢٤ ساعة في اليوم والليلة (وهي تكفي لأداء الصلوات الخمس) فاحرص على الصلوات الخمس في الحرمين الشريفين طوعاً أو كرهاً ، أو في المسجد الذي يتيسر لك ، واكتسب الأجر المذكور الذي بينه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ولا تكن من الغافلين الساهين المرتابين . ولقد أحسن من قال :

وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن بغير الذي يَرضى به الله تُشغَلُ
ولن يصحب الإنسان من قبل موته ومن بعده إلا الذي كان يعمَلُ
ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله يقيم قليلاً بينهم ثم يَرحل

● **أخي في الله** ! قد أعطاك الله مركبًا جميلاً ، ووقتاً فارغاً طويلاً ، فاستعمله في الذهاب إلى أكرم بيوت الله على وجه الأرض ، وقد «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» كما في صحيح مسلم .

وحذار من إيثار الدنيا على الآخرة وقد قال تعالى : ﴿ فأما من طغىٰ وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ● وأما خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ النازعات : ٣٧ - ٤١ .

✪ فكن كيف شئت ، فبين يديك الحساب والزلزلة ، فبادر ما بقي من

عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة . قاله الإمام الذهبي .

وقد أخبر النبي ﷺ : «نعمتان مغبون -خاسر - فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ» رواه البخاري .

وقد قال الله جلت عظمته في كتابه الكريم : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ فاطر : ٣٢ .

✪ أخي في الله ! لا تكن من هؤلاء المغبونين الذين أخبر عنهم النبي ﷺ ، واختر لنفسك ما شئت من أصناف هؤلاء المذكورين في الآية : (١) ظالم لنفسه (٢) مقتصد (٣) وسابق بالخيرات .

وقد ذكر القرطبي في تفسيره ١٤ / ٢٢٢ فقال : وقيل : السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن ، والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذن ، والظالم الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة ، لأنه ظلم نفسه الأجر فلم يحصِّل لها ما حصّله غيره اهـ

أخي الكريم ! فكر في نفسك من أي صنف أنت من هذه الأصناف المذكوة أعلاه .

واعلم أنه لا يوفق لأداء الصلوات في الحرمين الشريفين غالبا إلا أهل السعادة ، ومن سبقت له الحسنى وزيادة ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

● **ألا ترى أن** النبي ﷺ شجع أصحابه داخل المدينة وخارجها على الصلوات بجواره وبمسجده ﷺ (وطلب من الصحابة رضي الله عنهم ، الذين يسكنون البادية أو خارج المدينة إذا نزل أحد منهم إلى المدينة النبوية ، ألاّ يرجع إلى أهله حتى يأتي مسجده صلى الله عليه وآله وسلم ، فيركع فيه ركعتين ، وهذا يدل على مدى اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم به ، ولكي ينالوا الأجر الكثير من الله تعالى .

فعن مسلم بن أسلم بن بَجرة - أخي الحارث بن الخزرج - وكان شيخا كبيراً قد حدّث نفسه رضي الله عنه قال : إن كان ليدخل المدينة فيقضي حاجته بالسوق ، ثم يرجع إلى أهله ، فإذا وضع رداءه ، ذكر أنه لم يصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ فيقول : والله ما صليت في مسجد رسول الله ﷺ ، فإنه قد قال لنا : «من هبط منكم إلى هذه القرية فلا يرجعن إلى أهله ، حتى يركع

ركعتين في هذا المسجد ، ثم يرجع إلى أهله» رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات (المعجم الكبير ١٩ / ٤٣٥ ومجمع الزوائد ٤ / ٨ .

فيرجع من أهله لأنه لم يدخل مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى يأتيه فيصلي فيه . رضي الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ) (مابين القوسين من «فضائل المدينة» ٢ / ٢٣٩ لملا خاطر) .

✪ فيا أهل الحرمين ! وهذا رجل من الأنصار من آبائكم الأولين كان بيته أقصى بيت في المدينة ، وكان دائما يصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان لا يخطىء الصلاة معه صلى الله عليه وآله وسلم - كما في الحديث الآتي - فاقتدوا بهدي آبائكم ، لتنالوا ما كتب الله لكم من الأجر والثواب المضاعف ، وكونوا من السابقين إلى الخيرات ، بفضل الله وذلك هو الفضل الكبير .

● اللهم حبب إلينا إقتفاء آثار آبائنا المؤمنين من الأنصار والمهاجرين ،واصرف عن قلوبنا حب الكفرة الفجرة الكافرين الذين قالوا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ الزخرف : ٤٣

● وقالوا إنا كفرنا بما ارسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ وذلك حين قيل لهم : ﴿ألم يأتكم نبؤ الذين ... ﴾ إبراهيم : ٩ .

و﴿ قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ الزخرف : ٢٣ . وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

● فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة ، وكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فتوجعنا له ، فقلت : يا فلان ! لو أنك اشتريت حماراً يقيك من الرّمضاء ، ويقيك من هوام الأرض ، قال : أمَا والله ما أحبُّ أنّ بيتي مُطنَّبٌ ببيت محمد ﷺ ، قال : فحملت به حملا ، حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته ، قال : فدعاه ، فقال له مثلَ ذلك ، وذكر له أنه يرجو في أثَره الأجر ، فقال له النبي ﷺ : «إن لك ما احتسبتَ» (رواه مسلم في صحيحه «كتاب المساجد» رقم : ٢٧٨) .

وفي «فضائل المدينة» لملا خاطر ٢ / ٣٤٧ : إن من فضائل هذا المسجد الشريف : مسجد رسول الله ﷺ ، أن من خرج من بيته متطهِّرا ، لا

يريد إلا هذا المسجد للصلاة فيه ، كان له من الأجر حجة كاملة - أي نال أجر حجة كاملة - وهذا كله فضلٌ من الله تعالى ومنّةٌ وتكرم ، أُكرم بها مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس هذا بمستكثر ، إذ من خرج من بيته متطهراً إلى مسجد قباء : كان له من الأجر كأجر عمرة كاملة ...» .

فعن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف رضي الله عنهما ، عن أبيه قال : قال النبي ﷺ : «من خرج على طهر ، لا يريد إلا مسجدَ قباءَ ليصلي فيه : كان بمنزلة عمرة ، ومن خرج على طهرٍ لا يريد إلا مسجدي هذا - يريد مسجد المدينة - ليصلِّي فيه : كان بمنزلة حجة» رواه البخاري في تاريخه ، والبيهقي في الشعب . (وفي إسنادهما : يوسف بن طهمان ، ذكره البخاري في تاريخه ولم يذكر فيه شيئا ، وذكره ابن حبان في ثقاته ، وذكره ابن عدي في كامله ، والعقيلي في الضعفاء . لكن لم ينفرد بهذا الحديث) فقد ذكره البخاري من طريق آخر عن أبي أمامة مثله . وله شاهد آخر عنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، لكن في إسناده محمد بن سليمان الكرماني القبائي، قال الحافظ عنه في التقريب : مقبول . فالحديث بطرقه وشواهده : حسن ، إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم اهـ .

هذا ما قيل في فضل الصلاة في مسجد النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، فما بالك في مسجد البلد الأمين ، وقد قال رسول رب العالمين ﷺ : « .. وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» كما مر .

● قال أبو طلحة : للأسف ! الغفلة في الصلاة بل تركها وعدم أداءها في مواقيتها المسنونة عام ، ونحن نشهد بأنا مسلمون، فغلبت علينا دنيانا ، وألهانا التكاثر حتى زرنا المقابر، وندفن إخواننا وأصدقاءنا وآباءنا وأبناءنا وأمهاتنا وأزواجنا المحبوبات - كن نلعب معهن ويلعبن معنا - نضعهم في القبور بأيدينا ونحثو عليهم التراب ونتركهم بجوار الموتى لم ير مثلهم ولا نعتبر ، لأنه ما حظنا من تكفين هؤلاء وتدفينهم ومن زيارة القبور : إلا التطواف على الأجداث فقط ، فإن هذه الحالة تشاركنا فيها البهائم ... وقست قلوبنا ، نعوذ بالله من ذلك .

يا واضع الميت في قبره
خاطبك الدهر ولم تسمع

● ولا نعتبر (بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأحباب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ، فأفناهم الطوفان موت جارف في وقت لم يحتسبوه ، وهول لم يرتقبوه ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم) .

● وكسرت أسنانهم وأبلاها التراب كانوا يضحكون بها .

● وصمت آذانهم كانوا يسمعون بها .

● وسالت عيونهم على خدودهم كانوا ينظرون بها .

● وخلطت قلوبهم بالتراب كانوا لا يفقهون بها .

● وقد أكلت الديدان ألسنتهم كانوا ينطقون بها أو يتغنون بها .

● وآوت الديدان في أنوفهم كانوا يشمون بها .

(وترمّل من بعدهم نساؤهم وشَمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم ...) ما بين الأقواس من تفيسر القرطبي ٢٠ / ١١٧ .

● فيا إخوتي في الله ! لا تتركوا الصلاة ولا تؤخروها عن مواقيتها ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، واغتنموا والدقائق والثواني والأنفاس المعدودة الباقية لكم ، وقد وهبها اللهُ لكم ليبلوكم أيكم أحسن عملا ،

حياتك أنفاس تعدُّ فكلما مضتْ
منها نفسٌ انتقصتَ بها جزءا

● فاغتنموها أيها الأحباب ! ولا تسوفوا في ذلك ، وقد ورد الحديث في أهمية الأيام والليالي والساعات والثواني ، وكذلك وردت الأحاديث في أهمية الصلاة أفضل العبادات أذكر بعضها :

● فعن عبيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي ﷺ آخى بين رجلين ، فقتل أحدهما في سبيل الله ، ثم مات الآخر بعده بجمعة - أي أسبوع - أو نحوها ، فصلوا عليه ، فقال النبي ﷺ : «ما قلتم ؟» قالوا : دَعونا الله أن يغفر

له ويرحمه ويُلحقه بصاحبه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «فأين صلاتُه بعد صلاته ، وعمله بعد عمله ، أو قال : صيامه بعد صيامه لما بينهما أبعدُ مما بين السماء والأرض» رواه أبو داود والنسائي كما في المشكاة باب استحباب المال والعمر للطاعة .

● وعن عبدالله بن شداد قال : إن نفراً من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، قال رسول الله ﷺ : «من يكفنيهم؟» - أي من يكفني مؤنتهم - قال طلحةُ : أنا ، فكانوا عنده ، فبعث النبي ﷺ بعثاً ، فخرج فيه أحدهم ، فاستشهد ، ثم بعث بعثاً ، فخرج فيه الآخر ، فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه ، قال : قال طلحة : فرأيت هؤلاء الثلاثة في الجنة : ورأيت الميت على فراشهم أمامَهم ، والذي استُشهِد آخراً يليه - أي الميت - وأولهم يليه - أي الذي استشهد آخراً - فدخَلني من ذلك - أي تعجبتُ - فذكرتُ للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال : «وما أنكرتَ من ذلك -أي لا تنكر شيئاً من ذلك - ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يُعَمّرُ في الإسلام **لتسبيحه وتكبيره وتهليله**» رواه الإمام أحمد كما في المشكاة «باب استحباب المال والعمر للطاعة» .

● قوله ﷺ : «**لتسبيحه وتكبيره وتهليله**» : ونحو ذلك من سائر عباداته القولية والفعلية ، ولفظ الجامع رواية عن أحمد : «**لتكبيره وتحميده وتسبيحه**» كما في المرقاة شرح المشكاة .

● قال أبو طلحة : هذا التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد لا يأخذ منك إلا الثواني والدقائق عند التكلم بها ، فبسبب هذه التسبيحات والتكبيرات بلغ الرجل درجة لم يبلغها الشهيد كما يدل عليه الحديث المذكور ، فعلم من ذلك أن الثواني والدقائق لها قيمة عندالله سبحانه ، فاغتنموها أيها الناس اهـ .

●وقال في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٢٩٧ :

فيا أخي لا تضيع أيامك ، فإن أيامك رأس مالك ، وإنك ما دمت قابضاً على رأس مالك ، فإنك قادر على طلب الربح ، فاجتهد في تحصيله بالتوغل

في الطاعات والعبادات ، وإحياء سنة رسوله ﷺ والصلاة عليه قبل الموت والفوت ، فإن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين ، أو يقولوا مرة لا إله إلا الله ، أو يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ، ويتعجبون من الأحياء كيف يضيعون أيامهم في الغفلة ؟! .

وكما قيل : «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا» فتميّز المنافق من المخلص ، كما يكون في الدنيا بالأقوال والأفعال ، كذلك يكون في الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك كما قال تعالى : ﴿يوم تبيضُّ وجوه وتسود وجوه﴾ جعلنا الله ممن تبيضُّ وجوههم يوم القيامة . آمين . انتهى .

ثواب المتابعة بين العمرة وما يقابله بالمدينة النبوية على صاحبها الصلاة والتحية

● ومن عظم مكانة الحرمين الشريفين ، وزيادة فضلهما ، ورفعة شأنهما ، وعلو مقامهما ما أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلم ، أن العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما ، كما أن المتابعة بين الحج والعمرة ينفيان الذنوب والفقر ، ولا يكون ذلك إلا فيهما .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «العمرة إلى العمرة ، كفارة لما بينهما ، والحج المبرورُ ليس له جزاء إلا الجنة» متفق عليه (راجع صحيح البخاري «كتاب الحج» باب وجوب العمرة وفضلها . وصحيح مسلم رقم الحديث : (٤٣٧) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من حج لله فلم يرفُث ولم يَفْسُق ، رجع كيومَ ولدتْه أمه» متفق عليه . واللفظ للبخاري ، كتاب الحج باب فضل الحج المبرور ، وصحيح مسلم رقم (٤٣٨)

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الذنوب والفقرَ ...» مسند أحمد ١ / ٣٨٧ ، سنن الترمذي رقم (٨١٠) رواه النسائي وابن حبان أيضاً . هذا كله من

«مكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين» لدكتور ملا خاطر ص ١٠٩-١١٠ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أراد رسول الله ﷺ الحج ، فقالت امرأة لزوجها : احججني مع رسول الله ﷺ ، فقال : ما عندي ما أحجك عليه ، قالت : احججني على جملك فلان ، قال : ذاك حبيس - أي وقف - في سبيل الله عز وجل ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إن امرأتي تقرأ عليك السلام ورحمة الله ، وأنها سألتني الحج معك ، قالت : احجني مع رسول الله ﷺ ، فقلت : ما عندي ما أحجك عليه ، فقالت : حجني على جملك فلان ، فقلت : ذاك حبيس في سبيل الله عز وجل ، قال : أما إنك لو احججتها عليه كان في سبيل الله ، وأنها أمرتني أن أسألك : ما يعدل حجة معك ؟ قال رسول الله ﷺ : «اقرئها السلام ورحمة الله وبركاته وأخبرها : أنها تعدل حجة معي يعني عمرة في رمضان» . رواه أبو داود في كتاب المناسك (باب العمرة) . .

فاغتموا العمرة في رمضان أيها الناس ، التي تعدل حجة مع النبي صلوات ربي وسلامه عليه . آمين .

✪ **ويقابل ذلك في المدينة** ، أن الصلاة في مسجد قباء تعدل عمرة كاملة ، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يتعهد المجيء إليه ، وكان يأتيه صلى الله عليه وآله وسلم راكبا وماشيا ، ولا يمرّ أسبوع إلا ويأتيه فيه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا يدل على مدى مكانة هذا المسجد الشريف عنده صلى الله عليه وآله وسلم ، وعنايته به ، وهو أول مسجد يُقام لجماعة المسلمين بشكل علني ، بناه صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يصل إلى المدينة النبوية ، ويبنى فيها مسجده .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مسجد قباء ، راكباً وماشياً ، فيصلي فيه ركعتين . متفق عليه . ينظر صحيح مسلم كتاب الحج : «باب فضل مسجد قباء رقم : ٥١٦» .

✪ فعلم من هذا الحديث عظم مكانة هذا المسجد المبارك ، حتى صار النبي ﷺ يأتيه ويكثر الاختلاف إليه ، ماشياً وراكباً حسب ما تيسر له صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن فضائل مسجد قباء : أن من أتاه وصلى فيه ركعتين ، كان له من الأجر كأجر عمرة كاملة ، وهذا فضل من الله تعالى ونعمة أنعم الله بها

على عباده ، وتكرم بها على أهل المدينة ، ومن نزل بها .

وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم قد عرفوا قدر هذا المسجد الشريف فعظموه وأكرموه وكرروا المجيء إليه ، وذلك اتباعاً للمحبوب صلوات الله وسلامه عليه .

فهل لنا في ذلك نصيب ؟ أي في إحيـــاء هذه السنة النبوية لاكتساب هذا الأجر . وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه صلاة ، كان له كأجر عمرة» .كما مر .

لمثل هذا فاليعمل العاملون وفي ذلك فاليتنافس المتنافسون .

«هذه شديدة» لأهل المدينة ولـمـن أحدث فيها حـدثا

هو ما يخالف الكتاب والسنة

● **قوله** : «**هــذه شــديــدة**» قاله أنس بن مالك رضي الله عنه حينما سأله عاصم وقال : قلت لأنس بن مالك : أحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينةَ ؟ قال : نعم ، ما بين كذا إلى كذا ، فمنِ أحدث فيها حدثا – قال : ثم قال لي : هذه شديدة – «من أحدث فيها حدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقبَلُ الله منه يوم القيامة صَرْفا ولا عدلا» قال : فقال أنس رضي الله عنه : أو آوى مُحدثا» متفق عليه واللفظ لمسـلم ، صحيح البخاري كتاب الاعتصام «باب اثم من آوى محدثا» وصحيح مسلم رقم ٤٦٣ .

وفي رواية البخاري ومسلم قال النبي ﷺ : «المدينة حرم ما بين عَير إلى ثور . . .» الحديث صحيح مسلم رقم ٤٦٧ .

ذكر النووي في شرح مسلم ٩ / ١٤٠-١٤١ : فمن أحدث في الدين حدثاً ، أو آوى محدثا ، وضمه إليه وحماه : فعليه لعنة الله . . . وهذا وعيد شديد لمن ارتكب هذا ، لأن اللعن لا يكون إلا في كبيرة ، ولذا استدلوا بهذا اللفظ على أن ذلك من الكبائر ، ولعن الله كافٍ في إبعاده عن رحمة الله . . . اهـ .

✪ ذكر الحافظ في الفتح :١٣ / ٢٨١ : وقال ابن بطال رحمه الله

تعالى : دل الحديث على من أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً في غير المدينة ؛ أنه غير متوعدٍ بمثل ما تُوُعِّد به من فعل ذلك بالمدينة ؛ وإن كان قد عُلم أن من آوى أهل المعاصي أنه يشاركهم في الإثم ، فإن من رضيَ فعل قوم وعملهم ؛ التحق بهم .

ولكن خُصّت المدينة بالذكر لشرفها ، لكونها مهبط الوحي ، وموطنَ الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومنها انتشر الإسلام (سلطان الأديان) في أقطار الأرض ، فكان لها بذلك مزيد فضل على غيرها اهـ .

قوله ﷺ : «من أحدث فيها حدثاً» قال القاري في المرقاة شرح المشكاة :٧ / ١٤ : أي أظهر في المدينة منكرا أو بدعة ، وهي ما خالف الكتاب والسنة ... اهـ

● قال أبو طلحة : لو نظرنا إلى قوله ﷺ : «فمن أحدث فيها حدثاً» إلى آخر الحديث وإلى ما قيل في معناه : هو ما خالف الكتاب والسنة ، فكم من أعمال يعملها الإنسان من حيث الظاهر والباطن ، والتعامل فيما بين الناس ما يخالف الكتاب والسنة ، فوالله إن الأمر لشديد ، وإنه لوعيد يندى له الجبين ، وهذه هي «شديدة» لأهل المدينة ولمن خالف الكتاب والسنة وهو في المدينة ، ذكرها أنس بن مالك رضي الله عنه - لأن الخارج من المدينة غير متوعّدٍ بمثل ما تُوُعّد به ساكنها .

فهل نتنبه لأقوالنا وأعمالنا وننأى بها عن مخالفة الكتاب والسنة ؟ وقد قال سيدنا يوسف ﷺ عن نفسه كما في سورة يوسف : ٥٣ : ﴿وما أبرِّي نفسي إن النفس لأمّارة بالسُّوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ .

فعلينا أن نحاسب أنفسنا في هذا الأمر خاصة - ونحن في المدينة - قبل نزول عزرائيل لأخذ أرواحنا ، وقبل أن نظن أنه الفراق والتفّت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق ، وقبل نزول ليلة نبيت مع الموتى فنجاور جيراناً لم ير مثلهم ، وعلينا أن نستحضر جميع الأوقات بأننا جيران النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي أحب بقاع الأرض إلى الله اهـ

✪ ولقد قال العلامة ابن الجوزي في ذلك : « ... إعلم أن من دخل المدينة ، فليخطر على قلبه أنها المدينة التي اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليتخيَّل تردده صلى الله عليه وآله وسلم فيها ، ومشيه في بقاعها ، فكلها شريفة ، وإن خصت منها مواضع» ذكره في «مثير العزم الساكن إلى أشرف البقع والأماكن» ورقة ٢٣١أ و ب .

● ومن المعلوم أنه لا يختار أحد مجاورة المدينة ولا يؤثر استيطانها غالباً إلا من يدعي محبة المصطفى ﷺ ، فليكن لدعوانا هذه شواهد وعلامات وقرائن وأمارات في جميع شئون الحياة ، حتى لا تكون حسرة وندامة يوم يَرِدنّ عليه أقوام ، ثم يحال بينه وبينهم ؛ فيقول صاحب هذه البلدة الطيبة صلى الله عليه وآله وسلم وهوعلى الحوض : « ... إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غيّر بعدي» رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة «باب الحوض والشفاعة» .

● قال أبو طلحة : لقد كان يقال للمدينة قبل مجيىء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليها : يثرب ، فلما جاء صلى الله عليه وآله وسلم إليها سماها المدينة ، وطيبة وطابة ، ونهى عن تسميتها يثرب .

وفي رواية : « ... يقولون : يثرب ، وهي المدينة» متفق عليه .

فالذين كانوا يقولون يثرب : هم المنافقون ، وإلا فلا يجوز أن يقول المؤمنون ذلك لها بعد ما سمعوا تسميتها من النبي ﷺ بالمدينة : طابة ، طيبة .

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من سمى المدينة يثربَ ، فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ،

هي طابة» . (رواه أحمد في مسنده : ٤ / ٢٨٥ ، ومجمع الزوائد : ٣ / ٣٠٠ ، ومصنف عبد الرزاق : ٩ / ٢٦٧-٢٦٨ ، ورواه أبـو يعلى وابن شبة ورجاله ثقات (من فضائل المدينة) ١ / ١٦٤ لملا خاطر) .

وروى ابن شبه أيضا من حديث أبي أيوب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقال للمـدينة : يثرب . وذكـره الحـافظ في الفتح ٤ / ٨٧ وسكت عنه .

✪ ولا يكون الاستغفار إلا عن ذنب . ولو صغيراً . ولهذا قال عيسى بن دينار رحمه الله - أحد أئمة المالكية - من سمى المدينة يثرب كُتبت عليه خطيئة . شرح النووي ٩ / ١٩٤ ، وفتح الباري : ٤ / ٨٧ .

✪ وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « ... والله إن تربتها - المدينة - لمؤمنة ، سماها رسول الله ﷺ طيبة» رواه ابن أبي حاتم في العلل ١ / ٢٩٩ وابن عدي في الكامل ٣ / ١٠٨٢ . وفيه موسى بن يعقوب «صدوق سيء الحفظ» كما في التقريب لابن حجر (رقم : ٧٠٢٦) .

● علم من الأحاديث المذكورة منقبة المدينة النبوية وفضلها على غيرها من البلاد ، وفيها أن النبي صلى اله عليه وآله وسلم ، نهانا أن نتشبه بالمنافقين في مقالهم ، فما بالك في التشبه بفعالهم ، وهذا كما نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ البقرة : ١٠٤ .

● فإذا كانت الخطيئة تكتب على من سمى المدينة يثرب - وقد سماها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ : «طابة» ، «وإن تربتها لمؤمنة» - وأمرنا بالاستغفار على ذلك الذنب ولو صغيراً ، فما بالك في الذي يجرّىء نفسه على ارتكاب الكبائر ، وهو في قلب هذه المؤمنة المباركة ، وبجوار الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . وقد قال تعالى : ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ الزلزال : ٨ .

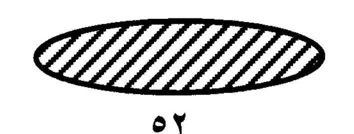

وهـــذه مـــرغـــوبـــة
ولكنها خطيرة أيضاً لساكني الحرم

● ومما يعد في فضائل بيت الله الحرا م - وكلها فضائل ومزايا - أن الأعمال الصالحة فيها يضاعف أجرها إلى مائة ألف عما سواها من البلاد .

فعـن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «صلاة في مسجـدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام» . (رواه البخاري في كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الحج رقم : ٥٠٥ - ٥٠٨) .

وقال علي القاري في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» الجزء ٢ ص ١٨٨ : وفي رسالة الحسن البصري إلى الرجل الزاهد أراد الخروج من مكة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من صلى في المسجد الحرام ركعتين فكأنما صلّى في مسجدي ألف صلاة والصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من البلدان» .

● إذا تأملت ذلك علمتَ ضعف ما قيل على رواية : «صلاة بالمسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة ، تبلغ صلاة واحدة فيه عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة خمس صلوات فيه تبلغ (٢٧٧) مائتي سنة وسبعا وسبعين سنة و سبعة أشهر و عشرة ليال . اهـ

وكذلك مما يعد في فضائل المدينة النبوية ، أن الأعمال الصالحة فيها يضاعف أجرها إلى ألف عما سواها من البلاد بأسرها إلا الحرم المكي .

قال الغزالي في «إحياء علوم الدين» ٤ / ٢٨٤ بهامش «إتحاف السادة المتقين» : ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله ﷺ ، فالأعمال فيها

أيضاً مضاعفة ، قال ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام» وكذلك كل عمل بالمدينة بألف . اهـ

وقال شارح «الإحياء» الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» ٤ / ٢٨٤ : وكذا قيل : إن الأعمال في المدينة كفضل الصلاة ، كل عمل بألف عمل . اهـ وينظر أيضا شرح مسلم للنووي ٩ / ١٥٣ .

✪ فعـــن عبدالله بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام ، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهرُ رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد ا لحرام» .(رواه البيهقي في شعب الإيمان ٨ / ٨٦-٨٧ ، وأورده أيضا «صاحب إعلام الساجد» (٢٥٨) وصاحب «فيض القدير» ٤ / / ٢٤٦ ، وأورده الدكتور ملا خاطر في «فضائل المدينة المنورة» ١ / ٢٤٢ وقال : رواه البيهقي في شعب الإيمان ، وحسنه السيوطي ، وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عنده أيضاً ، وحسنه أيضاً ، وله شاهد آخر من حديث بلال بن الحارث عند الطبراني في الكبير والضياء في المختارة والديلمي وابن عساكر وصححه السيوطي وتعقب اهـ) .

✪ وذكر صاحب المرقاة شارح المشكاة علي القاري الجزء ٤ / ٣٣٥ شارحاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث . . .» رواه مسلم . فقال :

● والحاصل: أنه عليه الصلاة والسلام أراد ترغيب أصحابه في الباقيات ، وتزهيدهم عن الفانيات ، فذكره هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل ، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن تقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى أو بثوابها من الدرجات العلى ، وقد وقع نظير هذا لشيخ مشايخنا أبي الحسن البكري قدس الله روحه ، حيث التمس منه أصحابه من التجار نزوله من مكة إلى بندر جدة أيام إتيان الغرباء من سفر البحار ، معللين بأنهم يريدون حصول بركة نزوله إلى تجارتهم ، ومكمنين بأن يحصل لخدم الشيخ بعض منافع بضاعتهم ، فأبى واعتذر، فما فهموا وألحوا وبالغوا في المسألة مع الاصرار .

✪ فقال الشيخ : ما مقدار فائدة ربحكم في هذا السفر ؟ وكم أكثر ما يحصل لكم فيه من النتيجة والأثر ؟ فقالوا : يختلف باختلاف الأحوال ، وتفاوت الأموال ، وأكثر الربح أن يصير الدرهم درهمين ، ويكون الواحد اثنين فتبسم الشيخ وقال : إنكم تتعبون هذا التعب الشديد لهذا الربح الزهيد ، فكيف نترك نحن مضاعفة الحسنات بالحرم وهي حسنة بمائة ألف على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد علم كل أناس مشربهم وهم مختلفون ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، والناس نيام إذا ماتوا انتبهوا عن المنام . اهـ.

● قال أبو طلحة : هذا ما قيل في الأعمال الصالحة في الحرمين الشريفين : بأنها تضاعف فيهما كفضل الصلاة فيهما . والحق إنها للبشرى السارة العظيمة ، وإنها للفرحة الكبرى العميمة لمنسوبي الحرمين الشريفين من العاكفين والزائـــرين ، .

● **ولكنهـا خـطيــرة شـديدة أيضـــاً:** حيث (ذهب جماعة من العلماء إلى أن السيئات تضاعف بمكة كالحسنات منهم : ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وأحمد ابن حنبل وغيرهم لتعظيم البلد ، ثم قيل : تضعيفها كمضاعفة الحسنات بالحرم ، وقيل : بل كخارجه ، وأخذ الجمهور بالعموم كقولـه تعالى : ﴿ومــن جــاء بالسـيئة فـلا يجزى إلا مثلها وهــم لا يظلمون﴾ الأنـعـام : ١٦٠ .

وجعل بعض المتأخرين القول بالمضاعفة على أن المراد بها مضاعفة الكيفية لا الكمية ، فإن السيئة جزاؤها سيئة ، لكن السيئات متفاوتة : إذ ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في طرف من أطراف بلده ... ومما يدل على تعظيم الحرم المقتضى لتعظيم السيئة قوله تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ . فقد أخذ منه جماعة كابن مسعود أن من خصوصياته أنه يعاقب على الهم فيه بالسيئة وإن لم يفعلها) مابين القوسين من «المرقاة شرح المشكاة» الجزء ٢ ص ١٨٩-١٩٠ .

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى ١٢ / ٢٤ : ﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ وقال : والإلحاد في اللغة الميل ؛ إلا أن الله تعالى بين أن الميل بالظلم هو المراد ... وذكر بعده بقليل وقال :

✪ وكذلك كان لعبدالله بن عمرو بن العاص فسطاطان : أحدهما في

الحل والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، وإذا أراد أن يصلّي صلّى في الحرم ، فقيل لـه في ذلك فقال : إن كنا لنتحدث أن من الإلحاد في الحرم أن نقول : كلا والله ، وبلى والله . والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات ، فتكون المعصية معصيتين : إحداهما بنفس المخالفة ، والثانية بإسقاط حرمة البلد الحرام " « ... وروى أبو داود عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال : «احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه» وهو قول عمر بن الخطاب . والعموم يأتي على هذا كله .

● ذهب قوم من أهل التأويل منهم الضحاك وابن زيد أن هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقَب على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لم يعمله . وقد روى نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر قالوا : لو همَّ رجل بقتل رجل بهذا البيت وهو (بعَدَن أبْيَن) لعذبه الله .

(قلت - القرطبي -) : هذا صحيح ، وقد جاء هذا المعنى في سورة ﴿ن والقلم﴾ في هـــذه الآية - أي ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمُنَّها مصبحين ○ ولا يستثنون ○ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ القلم : ١٧ و ١٨ فهو دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا أن يفعلوا ، فعوقبوا قبل فعلهم ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ سورة الحج : ٢٥ .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل : يارسول الله ! هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : «إنه كان حريصا على قتل صاحبه» انتهي ماذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨ / ١٥٧ .

✪ وكذلك ذكر القرطبي رحمه الله في موضع آخر ١٤ / ١٣٥ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ آل عمران : ١٣٥ وقال : فيه حجة واضحة ودلالة قاطعة لما قاله سيف السُّنة ، ولسان الأمة القاضي أبو بكر بن الطيب : أن الإنسان يؤاخذ بما وطَّن عليه بضميره ، وعزم عليه بقلبه من المعصية .

✪ قلت - القرطبي - : وفي التنزيل : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ الآية .

وقال : ﴿ فأصبحتْ كالصريم ﴾ القلم : ٢٠ . فعوقبوا قبل فعلهم بعزمهم - ثم ذكر الحديث «فالقاتل والمقتول في النار» - ثم قال : فعلق الوعيد على الحرص وهو العزم ، وألغى إظهار الصلاح ، وأخصُّ من هذا ما خرّجه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وصححه مرفوعا :

✪«إنما الدنيا لأربعة نفر : رجل أعطاه الله مالا ، وعلما فهو يتقي فيه ربه ، ويصِلُ رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل .

✪ ورجل آتاه الله علما ، ولم يؤتيه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته ، فأجرهما سواء .

✪ ورجل آتاه الله مالاً ، ولم يؤته علماً ، فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ولا يصل به رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل

✪ ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته ، فوزرهما سواء» .

وهذا الذي صار إليه القاضي ، هو الذي عليه عامة السلف ، وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ولا يُلتفت إلى خلاف من زعم أن ما يَهُمُّ الإنسان به - وإن وطّن عليه - لا يؤاخذ به . ولا حجة له في قوله عليه الصلاة والسلام : «من همّ بسيّئة فلم يعملها لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة» لأن معنى «فإن عملها» أي أظهرها، أو عزم عليها بدليل ما وصفنا ، وبالله توفيقنا . اهـ ما ذكره القرطبي .

✪ وهذه سبيعة بنت الأحب تقول في كلمة توصي ابنها فيها بتعظيم مكة وبيت الله تعالي ، وتذكر الملك تبع وما صنع بها

إبنــي لا تـظـلم بمـكـة	لا الصغـيـر ولا الكـبـير
إبنــي قـد جـربتهـا	فـوجـدت ظالمها يبـور
الله آمـنهـا ومـا	بنـيـت بعـرصتها قصـور
ولـقـد غـزاهـا تبـع	فكـسا بنيتهـا الحـبير
وأذل ربـي مـلـكـه	فـيـها فـأوفى بالنـذور
ويـظـل يطعـم أهـلها	لحـم المـهارى والجـزور

أتدري أين أنت ؟

● وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿أن طهرا بيتي﴾ ٢ / ٧٨- « ... وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه / سمع صوت رجل في المسجد فقال : ما هذا ! أتدري أين أنت !؟ وقال حذيفة قال النبي ﷺ : «إن الله أوحى إليّ : يا أخا المنذرين ! يا أخا المرسلين ! أنذر قومك ألاّ يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب سليمة ، وألسنة صادقة ، وأيدٍ نقية ، وفروج طاهرة ، وألا يدخلوا بيتاً من بيوتي مادام لأحد عندهم مظلمة ، فإني ألعنه مادام قائماً بين يديّ حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين» اهـ وحسن أولئك رفيقا ، اللهم وفقنا لمرافقة هؤلاء في الجنة حتى نشرب معهم من لبن لم يتغير طعمه . آمين . وما ذلك على الله بعزيز .

● قال أبو طلحة : لمّا قدّمتُ كتابي هذا (وذلك قبل الطباعة) إلى بعض أهل العلم من أحبابي للنظر فيه لكي أستفيد من ملاحظاته ، فكتب الأخ أبو يوسف ناجي - حفظه الله - بعض الملاحظات في بعض المواقع من الكتاب ، فمنها ما كتبه على الرواية المذكورة أعلاه كما يلي :

● «**ملاحظة**» : أقترح أن يحذف هذا الكلام لأنه سيؤدي مردوداً عكسيا إلا إن كان صحيحاً عن عمر رضي الله عنه ، والناس مقصرون ومذنبون ، والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ، وكذلك فإن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ، فإذا قرأ شخص هذا الكلام ، وعنده قصور مما حصل ، فإنه قد يفارق المسجد وينفرد به الشيطان . ثم قال : وفي مدلوله خطورة على من لم يكن عنده باع في الجمع بين النصوص إذا ظهر بينها تعارض ، فأخشى أن يبعد الناس الذين يقرأونه عن المسجد حتى يصبحوا أبرياء من كل الذنوب المذكورة - في الرواية - والصلاة في جماعة المسجد من العلماء من

يقول : إنها فرض ، ولهم أدلة . يرجى الاهتمام بهذه الملاحظة . انتهىٰ كلام أبي يوسف حفظه الله .

● قال أبو طلحة: نعم القول قول أبي يوسف ، وقوله هذا من باب النصيحة للمؤمنين - جزاه الله خيراً - وإني إلى تصديق قوله لقاصد ، لأن للناس أجناساً فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، وذلك هو الفضل الكبير ، فلذا نقلت ملاحظة الأخ بحروفها لئلا يفارق أحد باب بيت مولاه جل وعلا - وهو المسجد - ولا يكون عاصياً أكثر من الأول بترك صلاة الجماعة في المسجد ، لأن من العلماء من يقول : إنها فرض .

●ثم اعلم يا أخي ! هل من باب غير باب مولاك حيث تقضىٰ الحوائج وتنال الرغائب ؟؟ وهل من بيت غير بيت مولاك ، حيث تغفر الذنوب ، وتمحى الآثام والحوب وتكتب محلها الحسنات ؟ (وإن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات) وقد قال تعالى : ﴿ يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ .الفرقان : ٧٣

واعلم يا أخي ! أن حضن رحمة الله هو حياة المؤمن ، إلى متى نفر منه وإلى أين ؟ فإن استطعتم أن تهربوا منه بترك بابه فاهربوا ، وإن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله ، فارين من قضائه فاخرجوا ، فهل تستطيعون ذلك ؟ كلا ، ثم كلا ، لا يستطيع ذلك أحد إلا بسلطان : أي بقوة لأنه من ذلك بمعزل بعيد ، ها هو ربنا يخاطب الجن والإنس فيقول : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعْتم أن تنفُذوا من أقطار السموات والأرض فانفُذُوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ الرحمن : ٣٣ .

● **إخوتي في الله !** فمن الذي ليس له ذنب بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بل من الذي ليس له جبال الذنوب فأكثر ؟ ومن الذي ليس له الآثام مثل رمل لا تعد ، فلو بلغت ذنوبنا عنان السماء أو أكثر ، فنرضى ربنا بالتوبة الصادقة باكين مبتهلين خاشعين ، حتى تسيل الذنوب في سيل غفرانه وعفوه سبحانه .

● فالبدار البدار إلى التوبة والاستغفار ، لا التسويف فيه ولا العار ،

ولو ارتكبنا المعاصي مثل رمل لا تعد ولا تحصى ، وقد قال تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ الزمر : ٥٣ .

واعلم ! قد دعا الله تعالى إلى مغفرته : من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ، ومن زعم أن عزيراً ابن الله ، ومن زعم أن الله فقير ، ومن زعم أن يد الله مغلولة ، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة .

يقول تعالى لهؤلاء الأعداء : ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ المائدة : ٧٤

ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء : وهو فرعون اللعين الذي قال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات : ٢٤ ، وقال : ﴿ما علمتُ لكم من إله غيري﴾ القصص : ٣٨ .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما «من آيس عباد الله بعد هذا ، فقد جحد كتاب الله عزوجل ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه» .كما ذكره ابن كثير رحمه الله .

وأخرج ابن جرير عن أبي الجوزاء قال : اختلفتُ إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما من شيء من القرآن إلا سألته عنه ، ورسولي يختلف إلى عائشة رضي الله عنها فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب : لا أغفر» كما في الدر المنثور ٢ / ١٦٩ .

● بل هو الذي اعلن بنفسه فقال : ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ ، ويقول : ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ آل عمران : ٣٣ . ويقول : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ الحديد : ٢١ ، ويقول : ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾ البقرة : ٢٢١ .

● أخي في الله ! فهل من ملك من ملوك الدنيا إذا دعا رعيته إلى بابه بنفسه فقال لهم : تعالوا أيها الناس ! وقدموا إليَّ طلباتكم بهذه الكلمات والصيغ واسألوا ما شئتم أستجب لكم ، فهل يرد القادم إليه خائباً أوخاسراً ؟ كلا ، لا يرده خائباً ولا صفر اليد إذا كان ملكا عادلاً غير خادع .

● **فهذا ظنك في الملك الفاني من الدنيا** ، فما ظنك في الملك الباقي

وهنالك الولاية لله الحق ، وهو ملك الملوك الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير ، والذي لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون ، وهو أعدل العادلين ، و أصدق الصادقين ، والذي ﴿ يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ النمل : ٦٢ ، والذي يقول : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ غافر : ٦٠ فكيف يحرم عبده الذي دعاه إلى بابه .

بل عليك أن تقول له في جوابه كما قال نبيك محمد صلوات ربي وسلامه عليه : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» لأنه دعاك إلى بابه وتوكل بالإجابة قائلا : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ غافر : ٦٠ .

واعلم يا أخي ! قال العلماء : إن رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكر شاكر ، وقلب حاضر طاهر ، وفي الحديث القدسي الصحيح : «أنا عند ظن عبدي بي» وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة» رواه أبوداود وأحمد كما في الفتح الكبير ٢ / ١٦٦ .

يعني ليكن الداعي ربه على يقين بأن الله يجيب ، لأن رد الدعاء إما للعجز في إجابته ، أو لعدم الكرم في المدعو ، أو لعدم علم المدعو بدعاء الداعي ، وهذه الأشياء منفية عن الله تعالى ، فإنه عالم كريم قادر ، لا مانع عنده من الإجابة .

قال سهل رحمه الله : «ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى في وقت الدعاء ، في شيء يحل به إلا قال الله تعالى لملائكته : لو لا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك» .

و«حكي أن موسى عليه السلام مّر برجل يدعو ويتضرع ، فقال موسىٰ : لو كانت حاجته بيدي لقضيتها ، فأوحىٰ الله تعالى إليه : أنا أرحم به منك ، ولكنه يدعوني وله غَنَمٌ وقلبه في غنمه ، وأنا لا أقبل دعوة عبد قلبه عند غيري ، فذكر ذلك للرجل فتوجه إلى الله بقلبه فقضيت حاجته » . فيلزم حضور القلب ، وحسن الظن بالله في إجابة الدعاء .

وإذا وفق الله عبداً ودعاه إلى بيته لأداء الصلاة (فهل تدعو أنت إلى بيتك من لا تحبه) ، ثم وفقه إلى نطق بأمرما ، فما وفقه إليه إلا وقد أراد إجابته فيه وقضاء حاجته ، وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم ، وكذلك عدم الحضور في بيته لأداء الصلاة ، (مع أن مناديه ينادي بصوته الرفيع ليل نهار ويقول : «حي على الصلاة» و «حي على الفلاح) مذموم أيضاً ، لأنه كالمقاومة مع الله ، وفيه خطر لا خطر بعده ، وحرمان لا حرمان بعده ولا نقصان .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : «لقد هممتُ أن آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم » . متفق عليه .

هذا قول من هو رحمة للعالمين ، وقد شهد الله سبحانه بذلك قائلا ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء : ١٠٧ ، ولكن الرجل الذي يتخلف عن الجماعة ، يريد النبي ﷺ أن يحرق بيته .

قال العلماء : وهذا (الحديث) يدل على جواز إحراق بيت الذي يتخلف عن الجماعة ، فإذا علم جواز إحراق البيت على تركه السنة المؤكدة فما ظنك في إحراق البيت على ترك الواجب والفرض ؟

والرجل الذي يتخلف عن الجماعة فهو مغبون ومحروم من دعاء الملائكة (المعصومين) له بالمغفرة والرحمة والتوبة .

فقد قال رسول الله ﷺ : «صلاة الرجلِ في جماعة تُضعّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك إنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة لم يخطُ خطوة إلا رُفعت له بها درجة وحُطّ عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلّي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث ، تقول : اللهم صلّ عليه ، اللهم ارحمه ، ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » . متفق عليه .

وفي رواية وزاد في دعاء الملائكة: « ... اللهم اغفر له ، اللهم تب عليه» ، ما لم يُوذ فيه ، ما لم يُحدث فيه » متفق عليه ، . كما في المشكاة «باب المساجد ...» .

فيا أيها الناس ! ارجعوا إلى ربكم كيفما أنتم ، لأنه يجيب من أجابه ، ويترك من تركه ، ومن رجع إليه بقلب حاضر طاهر يقبله ، مهما كانت أحواله وأعماله .

● روي : أنه كان في بني إسرائيل شاب قد عبد الله عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين سنة ، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته ، فساءه ذلك ، فقال : «إلهي أطعتك عشرينِ سنة ، وعصيتك عشرين سنة ، فإن رجعتُ إليك تقبلني ؟ فسمع هاتفاً من وراء البيت وهو يقول : أجبتنا فأجبناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، فإن رجعتَ إلينا قبلناك» ذكره في «تنوير الأذهان» ٢ / ٤٨ .

فماذا يريد عبدالله بعد ذلك؟ فهل له من باب غير بابه سبحانه ؟ كلا ، لا ، ولله در القائل :

من أي بحر غير بحرك نستقي
ولأيّ باب غير بابك نقصد

● **حكاية غريبة** وذكر ابن القيم رحمه الله في هذا الباب حكاية مشهورة عن بعض العارفين : أنه رأى في بعض السكك باباً قد فتح ، وخرج منه صبيٌ يستغيث ويبكي ، وأمه خلفه تطرده ، حتى خرج ، فأغلقت الباب في وجهه ودخلتْ ، فذهب الصبي غير بعيد ، ثم وقف مفكراً ، فلم يجد له مأوىً غير البيت الذي أخرج منه ، ولا من يؤيه غير والدته ، فرجع مكسور القلب حزيناً ، فوجد الباب مرتجأ ، فتوسّده ووضع خده على عتبة الباب ونام ، فخرجت أمه ، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه ، والتزمته تقبّله وتبكي وتقول :

يا ولدي ! أين تذهب عني ؟ ومن يؤويك سواي ؟ ألم أقل لك لا تخالفني ، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة بك ، والشفقة عليك ، وأرادتي الخير لك ؟ ثم أخذتْه ودخلتْ . انتهت القصة

وقال ابن القيم رحمه الله بعد ذلك : فتأمل قول الأم : «لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة» . وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم : «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها» وأين تقع رحمة

الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء . فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه ، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به اهـ

قال في « تنوير الأذهان » ٢ / ٤٤٠ : **اعلم أن التوبة بمنزلة الصابون** ، فكما أن الصابون يزيل الأوساخ كذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنية أعني الذنوب .

• **حكي** : أن رجلا قال للدينوري : ما أصنع ؟ فكلما وقفت على باب المولى صرفتني البلوىٰ ! فقال : كن كالصبي مع أمه كلما ضربته يجزع ببين يديها ، فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها . اهـ

فيا إخوتي في الله ! لا تتركوا باب الله . ولا بيتاً من بيوت الله ، وادخلوها لأداء الصلاة فيها ، ولطلب المغفرة منه سبحانه ، ولو كنتم غارقين في سبعة أبحر من الذنوب والآثام ، هو الرحيم والرحمن . يغفر الذنوب جميعاً . ويقول : ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ النساء : ١٤٧ ويسأل ويقول : ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ النور : ٢٢ .

• **فمن أراد البسط في هذا الباب** - أي في باب رحمة الباري - فعليه أن يطالع كتابنا «جبال الذنوب وسيل الغفران» فإن في ذلك تسلية للمذنبين وقد أثنت على هذا الكتاب إذاعة المملكة العربية السعودية في شعبان سنة ١٤١٠هـ ، وشجعت الناس على قراءته ، ولله الحمد والمنة .

• **تنبيه هام لجار بيت الله الحرام !** قال الغزالي رحمه الله في «منهاج العابدين» في نهاية فصل «عقبة التوبة» : «... فناقش نفسك وحاسبها ، وسارع إلى التوبة وبادر ، فإن الأجل مكتوم ، والدنيا غرور ، والنفس والشيطان عدوان

وتضرع إلى الله سبحانه ، وابتهل إليه ، واذكر حال أبينا آدم عليه السلام ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وحمله إلى جنته على أعناق الملائكة ، لم يذنب إلا ذنباً واحداً فنزل به ما نزل :

✪ حتى روي أن الله تعالى قال لآدم -عليه السلام ! أي جار كنتُ لك ؟

قال : نعم الجار يارب ! قال : يا آدم ! اخرج من جواري ، وضع عن رأسك تاج كرامتي ، فإنه لا يجاورني من عصاني .

هـــذا حاله مع نبيه وصفيـه عليه الصلاة والسلام في ذنب واحد ، فكيــف حال الغير في ذنوب لا تحصى ، وهــــذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر المتعسف ، ولقد أحسن من قال :

يخـــاف علـى نفســـه مـــن يـتـــوب
فـكـيـف تـــرى حـــال من لا يتـــوب اهـ

وكذلك حال ابنه سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وبكاؤه على خطيئة واحدة

قال سعيد بن جبير : إنما كانت فتنته النظرة . كما في تفسير القرطبي .

ثم ذكر القرطبي ١٥ / ١٢٢ مفسرا لقوله تعالى : ﴿فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب ۝ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفىٰ وحسن مئاب﴾ سـورة ص : ٢٤-٢٥ .

فقال : في رواية : إنه – أي داود ﷺ – سجد أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للصلاة المكتوبة ، فبكى حتى نبت العشب من دموعه .

وروي مرفوعاً من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : «إن داود مكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت العشب من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرض من جبينه ، وهو يقول في سجوده : يارب ! داود زلّ زلة بَعُد بها ما بين المشرق والمغرب ، رب ! إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده ، فقال له جبريل بعد أربعين سنة : يا داود ! إن الله قد غفر لك الهمّ الذي هممت به» .

وذكر بعد قليل فقال : قال الحسن وغيره : كان داود عليه السلام بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين ، ويقول : تعالوا إلى داود الخطّاء ، ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه ، وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه ، وكان يذرّ عليه الرماد والملح ويأكل ويقول : هذا أكل الخطائين ، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر ثم صام بعده الدهر كله وقام الليل كله ... اهـ ما ذكره القرطبي .

وأما طعام الخاطئين من أهل النار فقد قال تعالى فيه : ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ○ ولا طعام إلا من غسلين ○ لا يأكله إلا الخاطئون ○ ﴾ الحاقة ٣٥-٣٧ .

قال القرطبي : (الغسلين) فعلين من الغَسل ؛ فكأنه ينغسل من أبدانهم ، وهو صديد أهل النار السائل من جروحهم وفروجهم اهـ وهو شر طعام أهل النار قاله قتادة ، ذكره ابن كثير رحمه الله .

هذا الحال مع نبيه داود عليه السلام في خطيئة واحدة ، فكيف حال الغير الذي كان له جبال الذنوب لا تعد ولا تحصى ، وهذا تضرعه وابتهاله أمام مولاه عز وجل ، فكيف بالمصر الذي لا يراجع توبة ، ولايرعوي عما يذم من الأمر . فعلينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب . وفق الله الجميع .

مقبرة المدينة وزيارة النبي ﷺ المتكررة لأهل البقيع

● اعلم أن من فضائل هذا البقيع أن أهله هم أول من يحشر من مقابر الأرض ؛ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيحشرون في زمرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبرفقته ، وقد وردت نصوص كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان فضل البقيع .

✪ **أما مقبرة أهل الحرم المكي** (المعلى) فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما أشرف صلى الله عليه وسلم على المقبرة – وهي على طريقه الأولى – أشار بيده وراء الضفير، أو قال : وراء الضفيرة – شك عبدالرزاق – فقال : «نعم المقبرة هذه» . فقلت للذي أخبرني : أخصَّ الشعَبْ ؟ قال : هكذا قال : فلم يخبرني أنه خص شيئاً إلا كذلك : أشار بيده وراء الضفيرة أو الضفير . وكنا نسمع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصَّ الشعبَ المقابل للبيت . رواه أحمد في مسنده ١ / ٣٦٧ ، ومصنف عبدالرزاق ٣ / ٥٧٩ ، ومجمع الزوائد ٣ / ٢٩٧-٢٩٨ وقال الهيثمي : فيه إبراهيم بن

أبي خداش حدث عنه ابن جريج وابن عيينة ، ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ .

✪ هذا ما ورد في فضل مقبرة مكة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُكثر زيارة أهل البقيع ، إذ قلَّ أسبوع إلا ويأتيهم ، يسلم عليهم ، ويستغفر لهم ، وهذه مزية خاصة لا توجد لغيرها من مقابر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ومن مزيته الخاصة أيضاً بأن الله تعالى أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيه ويستغفر لأهله .

✪ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قلنا : بلى ، قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ عندي ، انقلب ، فوضع رداءه وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظنّ أن قد رقدتُ ، فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب رويداً ، فخرج ، ثم أجافه رويداً ، فجعلتُ درعي في رأسي ، واختمرتُ ، وتقنّعتُ إزاري ، ثم انطلقتُ على إثره ، حتى جاء البقيع ، فقام ، فأطال القيام . ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف ، فانحرفتُ أسرع ، فأسرعتُ ، فهرول ، فهرولتُ ، فأحضر ، فأحضرتُ ، فسبقتُه ، فدخلتُ ، فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل فقال : «مالك يا عائش حشياً رابية ؟» قالت : قلت لا شيء ، قال : «لتخبريني أو ليُخبرني اللطيف الخبير» قالت : قلت : يارسول الله - بأبي أنت وأمي - فأخبرته ، قال «فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟» قلت : نعم فلهدني في صدري لهدةً أوجعتني ، ثم قال : «أظننت أن يحيف اللهَ عليك ورسولُه؟» قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، نعم . قال : «فإن جبريل أتاني حين رأيت ، فناداني ، فأخفاه منك ، فأجبته فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليك وَقد وضعت ثيابك ، وظننتُ أن قد رقدت ، فكرهتُ أن أوقظك ، وخشيتُ أن تستوحشي ، فقالَ : إن ربك يأمرك أن تَأتيَ أهل البقيع فتستغفر لهم» قالت : قلت : كيف أقول لهم يارسول الله ؟! قال : قولي : «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحمُ الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» رواه مسلم في صحيحه «كتاب الجنائز» رقم : ١٠٣ .

قوله ﷺ : «حشياً» الربو والتهيج الذي يحصل للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه ، وهو من ارتفاع النفس وتواتره . و«رابية» أي مرتفعة البطن . قاله العلماء .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا وإياكم متواعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد» (رواه مسلم رقم : ٩٧٤ ، والنسائي : ٤ / ٩٣-٩٤ ، وأحمد : ٦ / ١٨٠) .

✪ قال العلماء : وفي الحديث دليل على فضل الدفن بالبقيع بدعائه من دُفن بها بالمغفرة ، ودعائه صلى الله عليه وآله وسلم مجاب ، وذلك في كل زمان كمايقتضيه عدم ذكر المخصص ، وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يدعو بذلك كل ليلة ، هي ليلتها وهي متكررة والدفن متكرر ، فكل من دفن يناله الدعوة بإذن الله ، وذلك فضل للمدينة ولمن يموت بها على غيرها من البلدان .

هذا ما ورد في فضل البقيع باختصار ، وفقنا الله لزيارته المتكررة اتباعا لنبينا ﷺ في الاستغفار والدعاء لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولأن في زيارة القبور امتثال لأمر الرسول ﷺ حيث قال : «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ...» رواه مسلم .

اعمل على هذه السنة ولو مرة ثم انظر !!

● والتوفيق من الله قال أبو طلحة : وفقني الله مرات كثيرة للعمل على هذه السنة النبوية - والحمد لله - تركتُ أهلي - وهم نائمون - في الليالي الشتوية والصيفية ، فخرجتُ من منزلي الواقع في الحرة الشرقية بجوار مستشفى العيون (القديم) بالمدينة المنورة ، فانطلقت حتى جئت البقيع ، فسلمت على أهله السلام المسنون ، فقمت وطوّلتُ القيام ، ثم رفعت يدي ثلاث مرات دعوت لهم كما دعا لهم الرسول ﷺ ، وكل ذلك عملا بحديث المصطفى ﷺ .

وفي العمل على هذه السنة ، والمشي على الأقدام في جوف الليل نصفه أو ثلُثه لهذا الغرض فقط لا لغيره ، فوالله ! فيه سرور وحبور ولذة للسالكين ، ومن لم يذق لم يدر .

واخترتُ الليالي الشتوية والصيفية لأداء هذه السنة متمنيا بذلك مصادفة ليلتي بليلته ﷺ ، وكذلك اخترتُ أيام الأسبوع السبعة لعدم ذكر يوم معين ، وليالي معينة في الأحاديث . والحمد لله على ذلك .

أيها الأخ الكريم الزائر والمقيم ! اعمل على هذه السنة - وفقك الله - ولو مرة في الحياة ، ثم انظر ما ذا ترى ؟! وما ذا تجد من الحلاوة الإيمانية ومن اللذة والحبور والسرور .

حكي أن واحداً ضاع له تسعة دراهم فقال : من وجدهم وبشّرني فله عشرة دراهم ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : إن في الوجدان لذة لا تعرفونها أنتم .

وفي الأخير أدعو الله سبحانه كما دعاه أحدهم وقال :

إلهي نجّني من كل ضيق	فأنت إلهنا مولى الجميع
وهب لي في المدينة مستقراً	ورزقا ، ثم دفنا في البقيع

● اللهم حقق بفضلك يا كريم ، واحشرنا مع نبيك ﷺ حتى نشرب معه في الجنة من لبن لم يتغير طعمه . آمين يارب العالمين .

● وهناك مبحث حول قبور أهل السعادة وقبور أهل الشقاوة أود أن أذكره إتماما للفائدة وهذا كما ذكره صاحب «تنوير الأذهان» ٤ / ٤٩٥-٤٩٦ مفسراً لقوله تعالي : ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ .

فقال : « ... وفيه إشارة إلى أن الميت إن كان من أهل السعادة فإنشاره من قبور أهل السعادة وإن كان مدفوناً في قبور أهل الشقاوة ، وإن كان من أهل الشقاوة فإنشاره من قبور أهل الشقاوة ، وإن كان مدفوناً في قبور أهل السعادة .

✪ ولذا قال صاحب المشارق في خطبة كتابه : «إن من دفن بمكة ولم يكن لائقاً بها ، تنقله الملائكة إلى موضع آخر » .

● وحكي أن شخصاً كان يقال له (ابن هيلان) من المبالغين في التشيع ، بحيث يفضي إلى ما يستقبح في حق الصحابة ، مع الإسراف على نفسه ، بينما هو يهدم حائطاً إذ سقط فهلك ، فدفن في البقيع فلم يوجد ثاني يوم الدفن ، في القبر الذي دفن به ، ولا التراب الذي ردم به القبر ، بحيث يستدل بذلك لنبشه ، وإنما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير ، حتى كان ممن وقف عليه القاضي جمال الدين ، وصار الناس يجيئون لرؤيته أرسالاً ، إلى أن اشتهر أمره ، وعد ذلك من الآيات التي يعتبر بها من شرح الله صدره ، نسأل الله السلامة .

✪ وحكي أيضاً أن محمد بن إبراهيم المؤذن حمل ميتاً في أيام الحج ولم يجد من يساعده عليه غير شخص ، قال : فحملناه ووضعناه في اللحد ، ثم ذهب الرجل وجئت باللبن لأجل اللحد ، فلم أجد الميت في اللحد ، فذهبت وتركت القبر على حاله .

✪ ونقل أن بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤي في النوم وهو يقول للرائي سلم على أولادي وقل لهم : إني قد حُملت ودفنتُ بالبقيع عند قبر العباس ، فإذا أرادوا زيارتي فليقفوا هناك . ويسلِّموا ويدعوا كذا في المقاصد الحسنة للسخاوي . اهـ ماذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان .

● قال أبو طلحة : ورأيت في النوم (وأنا في المدينة النبوية) قبور بعض أهل العلم من شيوخ شيوخي في البقيع الغرقد ، وهما : (١) الشيخ الشاه أشرف علي التهانوي (المدفون في الهند) المتوفى سنة ١٣٦٢هـ . (٢) والشيخ عطاء الله الشاه البخاري (مدفنه في باكستان) المتوفى سنة ١٩٦٤م وكلاهما كان من قبيلة السادات رحمهما الله . وخدماتهما في الدين وإعلاء كلمة الله ما هي بخافية على أهل الهند وباكستان .

رأيت قبورهما في ليلة واحدة وفي وقت واحد وذلك في صدر باب بقيع الغرقد عند قبور أكابر الأمة . رأيتهما في قبورهما في حالة الشباب وكان النور يتلألأ من وجهيهما كأنما فقيء على وجنتيهما مثل الرمان . غفر الله لهما ولجميع المسلمين .

✪ **تنبيه هام جداً** : هذه رؤيا منامية لا يثبت بها حكم شرعي ، فقد تكون واقعية كرامة من الله عز وجل لبعض عباده الصالحين ، وقد تكون مجرد رؤيا منامية ، وعلى كل حال فإن الأرض لا تقدّس شخصاً ولا تنجّسه ، وإنما يرفعه إيمانه ، وينجيه عمله إذا كان مؤمناً صالحاً ، والتقيُّ يكون قبره روضة من رياض الجنة ، ولو دُفن بين قوم مجرمين ، والشقي يكون قبره حفرة من حفر النار ، ولو دفن بينِ قوم صالحين ، فالعبرة للعمل لا للمكان ، نسأل الله أن يجعل عملنا صالحاً ، ويختم لنا عمرنا بالموت على الإيمان ، إنه برٌّ رحيم ، جوّاد كريم . اهـ من هامش «تنوير الأذهان في تفسير روح البيان» اختصار وتحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني الأستاذ بجامعة أم القري بمكة المكرمة .

الحَرَمان أحب البلاد إلى الله وإلى رسوله ﷺ وإسراعه ﷺ إذا قدم إلى المدينة

● وقد وردت النصوص عن مكة المكرمة أنها أحب البلاد إلى الله وإلى رسوله ﷺ وكيف لا ؟ وهي مولد سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ومنشؤه ﷺ ومبوأ أبيه إبراهيم ﷺ ، وهناك بيت نسبه سبحانه إلى نفسه فقال : ﴿ أن طهّرا بيتي ﴾ الآية ، وجعلها حرما آمناً ، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليها ، ورزق أهلها من الثمرات ، ثم ذكرها في كتابه حكاية عن إبراهيم بقوله : ﴿ وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ إبراهيم : ٣٧ وحصل ذلك كله والحمد لله . فقال صلى الله عليه وآله وسلم في حب مكة :

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمكة : «ما أطيبكِ من بلدٍ ، وأحبّكِ إليّ ، ولو لا أن قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيركَ» رواه الترمذي رقم الحديث ٣٩٢٢ . وصحيح ابن حبان ٦ / ٩ ، والمستدرك ١ / ٤٨٦ ، ومسند أبي يعلى ٥ / ٦٩ .

وعن عبدالله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً على الحَزْوَرَة ، فقال : «والله إنكِ لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولو لا أني أخرجتُ منكِ ما خرجتُ» (رواه أحمد في مسنده ٤ / ٣٠٥ والترمذي في سننه رقم : ٣٩٢١ ، وابن ماجه في سننه رقم : ٣١٠٨ وغيرهم).

✪ وأمـا المدينة ودعاء تحبيبها : فقال صلى الله عليه وآله وسلم لمولاه : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ...»

● وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى المدينة أسرع السير ، ويحرك دابته عند رؤيته لجدران المدينة عند قدومه من السفر ، وهذا من مظاهر محبته صلى الله عليه وآله وسلم للمدينة .

● فهل نجد هذا الحب للمدينة ولجدرانها وجبالها عند رؤيتها ؟ وعند قدومنا إليها من السفر ، فاستفت قلبك يا ساكن المدينة والقادم إليها ! فإن لم تجدها فلماذا ؟ هل فكرت في هذا الموضوع يوماً من الأيام في حياتك بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرك دابته لحبها ، وربنا سبحانه وتعالى اختار هذه البلدة لمَن هو رحمة للعالمين ﷺ ، فصارت محبوبة عنده ﷺ لحب الله إياها .

فعلينا أن نحبها ، ونسرع السير إليها ، ونحرك دابتنا أو مركبنا عند قدومنا إليها من السفر ، وذلك اتباعا له صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن أحب المدينة فبحبه ﷺ أحبها ، ومن حرّك دابته أو مركبه فبحبه ﷺ حرّكه و«المرء مع من أحب» كما في الحديث الصحيح .

ومن المعلوم أن المحب الصادق يحب كل ما كان منسوباً إلى حبيبه ، من الصورة والسيرة واللباس والهيئة ، وكذلك يحب حركاته وسكناته وقيامه وقعوده ، حتى يحب داره وجداره وكساءه ورداءه . وفي ذلك قال الشاعر :

ومن عادتي حب الديار لأهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

وقال آخر :

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما تلك الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

●وأحسن منه ما ذكره القرطبي في تفسيره ١٠ / ٣٢ فقال: والمقرون بالمحبوب محبوب، والمقرون بالمكروه المبغوض؛ مبغوض كما قيل:

أحب لحبها السودان حتى
أحب لحبها سود الكلاب

اهـ

فالذي يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، يكون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحب إليه مما سواهما، وهذه المحبة لا محالة تضطر صاحبها إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شئونه كلها - إن شاء الله - قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ آل عمران: ٣١

فإن لم تدفع المحبة إلى عمل مندوب أو منسوب إلى الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف تدفع إلى اتباع السنة والوجوب، فما هو إلا إدعاء المحبة وليست بالمحبة، وفي مثل ذلك أنشدوا:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

● وإن كان دعوى المحبة جائزة مع المحبوب، ولكن حال المحب وأعماله تخبر عن كذب دعواه هذه وصدقها، وفي مثل ذلك أنشدوا:

وجائزة دعوى المحبة في الهوى
ولكنْ لا يخفى كلام المنافق

✪ وقال صاحب «اتحاف السادة المتقين» ٤ / ٤٥٩: «ولا شك أن من ترك شيئاً من اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكذب نفسه في محبته لله، بعدم تمام الاتباع.

وعند أهل الله: لو اتبعه في جميع أموره، وأخل بالاتباع في أمر واحد ما اتبعه قط، وإنما اتبع هوى نفسه، لا هو مع ارتفاع الأعذار الموجبة لعدم الاتباع، هذا مقرر عندهم فلا ينبغي التساهل فيه. اهـ

ومن علامة محبته ﷺ محبة الرجل لكل ما يحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ٢ / ٢٧ فقال :

«فبالحقيقة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه ، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس ، وقد قال أنس رضي الله عنه حين رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتتبّع الدُّباء من حوالي القَصعة ، فما زلتُ أحب الدباء من يومئذ اهـ .

(وهــــذا) سيدنا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كانا يزوران أمّ أيمن مولاةً النبيَّ ﷺ ويقولان : كان رسول الله ﷺ يزورها .

ولما وردت حليمة السعدية على النبي ﷺ بسط لها رداءه ، وقضى حاجتها ، فلما توفّي - ﷺ - وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك . اهـ من الشفاء .

(وهــــذا) سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضحك لما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضحك كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله في «الكلم الطيب» في فصل في ركوب الدابة عن علي رضي الله عنه وفيه :

« ... ثم ضحك ، فقيـــل : يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكتَ ؟ قال : إني رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل كما فعلتُ ، ثم ضحك ، فقلت : يارسول الله من أيّ شيء ضحكتَ ؟ قال : «إن ربك سبحانه وتعالى يَجب من عبده إذا قـــال : «رب اغفـــرلي ذنوبي» يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري .خرّجه أبو داود ، والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح اهـ.

(وهــــذا) سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما آثر المشي على الركوب وهو ذاهب إلى مسجد قباء مع وجود الدواب عنده . فلما قال له عبدالله بن قيس بن مخرمة ومعه بغلة له : «اركب أي عم ، قال : أي ابن أخي ! لو أردت أن أركب الدواب لوجدتها ، ولكني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي إلى هذا المسجد ، حتى يأتيَ ، فيصلي فيه ، فأنا أحب أن أمشيَ إليه كما رأيته يمشي ، قال : فأبى أن يركب ، ومضى على وجهه» . (رواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ١١٩ ورجاله ثقات) .

وهـــذا سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه جلس تحت شجرة فأخذ غصناً منها يابساً فهزّه حتى يتحاتّ ورقُه ، ثم قال : يا أبا عثمان ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ قلت : ولِمَ تفعله ؟ قال : هكذا فعل بي رسول الله ﷺ وأنا معه تحت الشجرة ، وأخذ منها غصناً يابساً فهزّه حتى تحاتّ ورقه ، فقال :« يا سلمان ! ألا تسألني لم أفعل هذا ؟» قلت : لِمَ تفعله ؟ قال :«إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلّى الصلوات الخمس ، تحاتتْ خطاياه كما تحات هذه الورق ، وقال : ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ هود : ١١٤ . (رواه أحمد والنسائي والطبراني ، (ورواة أحمد محتج بهم في الصحيح إلا علي بن زيد كذا في الترغيب) .

وهـــذا الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول : ماكتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به ، حتى مّر بي أن النبيِّ ﷺ احتجم ، وأعطى أبا طيبة ديناراً ، فاحتجمتُ وأعطيتُ الحجام ديناراً . ذكره صاحب «بذل المجهود في شرح سنن أبي داود» .

✪ وذكــر القــاضي في الشفاء ٢ / ١٦ : وحُكي عن أحمد بن حنبل قال : كنتُ يوماً مع جماعة ، تجردوا ودخلوا الماء ، فاستعملتُ الحديث : «مــن كان يــؤمن بالله واليوم الآخــر فــلا يدخــل الحمـــام إلا بمئزر» ولــم أتجــرد ، فرأيتُ تلك الليــلة قائــلا لي : «يا أحمد ! أبشر ، فإن الله قد غــفر لك باستعمالك السنة ، وجعــلك إماماً يُقتــدى بك ، قلت : من أنتَ ؟ قال : جبريل» . اهـ .

وهـــذا الإمام أبو داود رحمه الله ، ناداه مناد : «يا أهل السفينة ! إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم» .

✪ كما أخرج ابن عبدالبر بسند جيد عن أبي داود صاحب السنن رحمه الله أنه كان في سفينة ، فسمع عاطسا على الشط حمد ، فاكترى قارباً بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمته ، ثم رجع ، فسئل عن ذلك ، فقال : لعله يكون مجاب الدعوة فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول : «يا أهل السفينة ! إن أبا

داؤد اشترى الجنة من الله بدرهم» . ذكره الحافظ في الفتح : ١٠ / ٦٢٦ .

● قال أبو طلحة: علم من هاتين القصتين - قصة الإمام أحمد وأبي داود رحمهما الله «**إن الجنة مطوية بالسنة**» أي بسنة حبيبي صلوات الله وسلامه عليه» وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .اهـ .

✪ **وقد قال الضحاك رحمه الله :** «مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم . وكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم ». ذكره القرطبي في تفسيره : ١٣ / ٢٤٢ .

فالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المحبوب عندالله سبحانه في كل الشئون ، وإن كان الاتباع في بعض الأمور غير واجب ، وذلك لأن المحب لا ينظر إلى الفرق بين الواجب وغيره ، بل هو يتبع المحبوب لأجل حبه له ، وهذا أمر يعرفه أهل المعرفة والمحبة .

قال سهل : من لم ير ولاية الرسول ﷺ عليه في جميع الأحوال ، ويرى نفسه في ملكه ﷺ ، لا يذوق حلاوة سنته صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» (الحديث كما في الشفاء ٢ / ١٩) .

وقال عمرو بن قيس الملائي : إذا بلغك شيء من الخبر (أى الحديث) فاعمل به ولو مرة ، تكن من أهله .

وينبغي أن يستعمل ما يسمعه من أحاديث العبادات والآداب وفضائل الأعمال ، فذاك زكاة الحديث وسبب حفظه . اهـ

وقال وكيع رحمه الله : إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به .

اللهم وفقنا للعمل بسنن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وزينها في قلوبنا ، وكره إلينا التشبه بأعداء الإسلام ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم ، فأقرر عيوننا باستعمال سنن حبيبك ﷺ .آمين .

...

من أراد الحرمين وأهلهما بسوء أذابه الله في النار

● كما ذكرنا فيما مضى في تفسير آية : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ : فقد أخذ منه جماعة كابن مسعود أن من خصوصيات الحرم المكي أنه يعاقب على الهم فيه بالسيئة وإن لم يفعلها . وأن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لم يعمله .
كما ورد ذلك عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى المذكور : قال : لو أن رجلا همّ بخطيئة - يعني ما لم يعملها - لم يُكتب عليه ، ولو أن رجلا همَّ بقتل رجلٍ عند البيت ، وهو بعدَنَ أبْيَنَ ، أذاقه الله عذاباً أليماً .

وفي رواية رفعه : «لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد . وهو بعدَنَ أبْيَنَ ، لأذاقه الله عذاباً» (ينظر مسند أحمد ١ / ٤٢٨ . وأوردهما الحاكم في المستدرك ٢ / ٣٨٧-٣٨٨ وصححهما على شرط مسلم ، وأقره الذهبي . وأورده الحافظ في الفتح ١٢ / ٢١٠).

✪ **هذا ما ورد في الحرم المكي وأهله** ، فليحذر المسلم من إيذاء أهله ، ولو كان بعيداً عنه ، وكل ذلك يدل على عظم مكانه عند الله سبحانه ، وكيف لا ؟ وأهل مكة أهل الله تعالى ، هذا كما قال النبي ﷺ لعَتّاب بن أسيد رضي الله : «استعملتُك على أهل الله» حينما استعمله على مكة .

✪وفي الإصابة ٤ / ٢١٢ : عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعمل عتاب بن أسيد على مكة ، وكان شديداً على المريب ، لينا على المؤمنين ، وكان يقول : والله لا أعلم متخلفا عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه ، فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق ، فقال أهل مكة : يا رسول الله ! استعملت على أهل الله أعرابيا جافياً ، فقال - ﷺ - : «إني رأيت فيما يرى النائم : أنه أتى باب الجنة ، فأخذ بحلقة الباب فقعقعها حتى فتح له ودخل . اهـ

وقد ورد موقوفاً على عمر رضي الله عنه ، قاله لعامله على مكة : نافع ابن عبدالحارث الخزاعي ، عندما استقبله وخلّف على أهل مكة : ابنَ أبزى . فقال عمر : استعملت على أهل الله رجلاً من الموالي ! ...» [رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين «باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه» رقم : ٢٦٩ ، وينظر مسند أحمد ١ / ٣٥ ، ووفاء الوفاء (١ / ٤٨)].

✪ وأما أهل المدينة فقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إيذاء أهل بلده ﷺ ، بأي نوع من أنواع الإيذاء ، و رتب الوعيد على الإرادة ، كما قال تعالى في حرم مكة : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج : ٢٥ . ذكره الإمام الصالحي في« فضائل المدينة» .

وهكذا الوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم ، ووعيد من لم يُكرم أهلها ، وأن إكرامهم وتعظيمهم حق على الأمة ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم شفيع أو شهيد لمن حفظهم فيه ، وقوله ﷺ : «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبيَّ» . [رواه أحمد في المسند ٣ / ٣٥٤ ورجاله رجال الصحيح كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ / ٤٠٦)] .

وفي لفظ عند مسلم (رقم : ٦٤٠) : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قال : «ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوبَ الرصاص ، أو ذوب الملح في الماء»

● وعن السائب بن خلاد أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله عز وجل ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا» (رواه أحمد في مسنده : ٤ / ٥٥) .

✪ وفي المدارك للقاضي ١ / ٦٠ : قال محمد بن مسلمة : سمعتُ مالكاً - إمام دار الهجرة - يقول : دخلت على المهدي فقال : أوصني ، فقلت : أوصيك بتقوى الله وحده ، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجيرانه ، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : «المدينة مهاجري ، ومنها مبعثي ، وبها قبري ، وأهلها جيراني ، وحقيق على أمتي حفظ جيراني ، فمن حفظهم فيّ كنت له شفيعا أو شهيداً يوم القيامة ، ومن لم يحفظ وصيّتي سقاه الله من طينة الخبال» اهـ .

● وقوله ﷺ في جميع الروايات السالفة : «من أراد أهل المدينة» جاء عاما ، فيشمل من كان بها ، وأراد أهلها بسوء ، ومن كان خارجا عنها بعيداً عنها ، فدبّر لأهل المدينة الكيد والسوء . والنص شامل لهذين – والله أعلم – وإن كنتُ لم أر من نبه على ذلك لكن استدلال القاضي عياض بوفاة يزيد بن معاوية – وهو بعيد عنها – يشير إلى هذا ، ولهذا يحذر المسلمون من الإساءة إلى المدينة وأهلها ، سواء كانوا في المدينة أو كانوا بعيدين عنها ، حتى لا تدركه العقوبة . والله تعالى أعلم . من (فضائل المدينة) ١ / ٣٣٦ لملا خاطر حفظه الله تعالى .

✪ وقال أيضاً ١ / ٣٤١ : وكيف لا يستحق من أخاف أهل المدينة ظلماً ، أو آذاهم ... اللعنَ والطردَ ، والإذابة في النار ، كإذابةِ الملح في الماء أو الرصاص في النار، وغضب الله عليه ، وإخافة الله تعالى له ، وعدم قبول أعماله .. ؟ وهو قد آذى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخاف ما بين جنبيه ﷺ ، لأن أهل المدينة جيرانُه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويلزم المسلمين إكرام جيرانه ، لا إخافتهم وظلمهم وإيذاؤهم ، ولهذا ينتقم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن من آذى جيرانَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدون حق فقد آذاه وأخافه صلى الله عليه وآله وسلم . اهـ

● **لذا فليحذر المسلم** – من كان وحيث كان – من إيذاء أهل الحرمين : أهل الله وجيران حبيب الله ﷺ ، حتى لا يستحق سوط عذاب الله الظاهر أو الخفي .

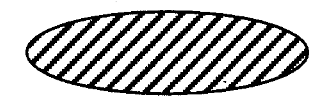

الروضة من الجنة والركن والمقام من الجنة

واعلم أن لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولمسجده الشريف فضائل لا توجد لغيرهما من البلدان والمساجد ، ومن مزايا هذا المسجد الشريف أن جعل الله تعالى فيه موضعاً من الجنة العالية ، وهو فيما بين منبره الشريف ، وبيته الشريف ، الذي كان يسكن فيه صلى الله عليه وآله وسلم مع السيدة عائشة رضي الله عنها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها ودفن بها ، وكانت تسكن فيه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

● كما في رواية لأحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ ، وإني واضع ثوبي وأقول : إنما هو زوجي وأبي (أي مدفونان فيه) ، فلما دفن عمر معهم فوالله ! ما دخلته إلا وأنا مشددة عليّ ثيابي ، حياء من عمر » . كما في المشكاة «باب زيارة القبور» .

● واعـلم يقيناً أنه لا يوجد بقعة معينة ومحددة بحدودها في الأرض ، و أنها من الجنة إلا هذه وهي معلومة إلي يومنا هذا .

● واعلم أيضاً : أنه لا يُعرف قبر نبيٍّ ولا بيت نبي اليومَ على وجه الأرض غير قبر نبينا وبيته صلى الله عليه وآله وسلم . والله أعلم بالصواب

● وعـن عبدالله بن زيد المازني رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» . رواه البخاري «باب فضل مابين القبر والمنبر» ورواه مسلم في صحيحه رقم (٥٠٠) .

وقال ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في التمهيد ٢ / ٢٨٧ : وقد استدل أصحابنا على أن المدينة أفضل من مكة بهذا الحديث اهـ .

وفي هامش «فضائل المدينة» للصالحي الشامي ص ١٢٨ :ونقل ابن فرحون في «مناسكه» قول الإمام مالك : إن الحديث على ظاهره ، فهي روضة من رياض الجنة ، تنقل إلى الجنة وأنها ليست كسائر الأرض تذهب وتفنى . اهـ

وقال الصالحي رحمه الله بعد ذكره : واختصت بذلك لكثرة تردده صلى الله عليه وآله وسلم بين بيته ومنبره وقرب ذلك من قبره الشريف .

الدر الثمين للمواطنين والزائرين

كيف تدعو وأنت في رياض الجنة ؟

قال أبو طلحة : هناك در نادر وثمين يتعلق بالروضة الشريفة وذلك لمن أراد أن يناله من المسلمين ، ولا يوجد هذا الدر في أي كتاب من الكتب كما أظن ، فإن كان خيراً فهو من عندالله سبحانه ، وإن كان غير ذلك فهو مني ومن الشيطان الرجيم .

✪ أُلقي في روعي قبل ثمانية عشر سنة ، وكنت في الروضة ، فذكرتُ قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحى وهو : «مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» فقلت في نفسي : إن هذه البقعة المباركة من الجنة حقيقة كما يدل عليه ظاهر الحديث ، ومن هذا المنطلق أيقنتُ بأني جالس في إحدى روضات الجنة .

فقمت وركعت ركعتين في الروضة ، ورفعتُ يديّ بالدعاء ، وأشرت إلى صاحب القبر الشريف صلوات الله وسلامه عليه وقلت :

اللهم هذا نبيك صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخبرنا بقوله : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، ولا مرية في قوله ولا شك ، وكأني جالس في جنتك نظراً إلى ظاهر الحديث الشريف .

✪ وها أنت تقول في الجنة وأهلها يارب المكروبين : ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون﴾ ياسين : ٥٧ ، وتقول : ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعيُن﴾ الزخرف : ٧١ ، وتقول : ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ ق : ٣٥ .

أنت الحق وقولك الحق ، وتقول في قولك وفي حديثك : ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ ، وأنت الذي أمرتنا

بالدعاء وتكفلتَ بالإجابة قائلا : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ غافر : ٦٠ ، فلبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

✪ وأنت يا ربى ! علّمتنا صيغ الدعاء كلها بواسطة هذا النبي الكريم ﷺ ، ومن المعلوم أن الملك الفاني من الدنيا إذا أخبر رعيته عن كلمات المعروض وصيَغه بالنفس ، ثم يقول : قدّموا إليَّ معروضكم بهذه الكلمات والصيغ فهو لا يرد معروض المقدِّم ، ولا يرده خائبا .

● **وأنت يارب العالمين !** مالك الملوك وأنت الحي القيوم ، الرزاق الوهاب المعطي الصمد القادر المقتدر الولي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام - بجميع أسماء الله الحسنىٰ وتقول : ﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ النمل : ٦٢ .

ولا ريب في ذلك كله ولا مـــرية : فأسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ ،أنت المستعان وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فلا تحرمني من باب جودك يا رب العالمين ... إلى آخر الدعاء .

فبهذا وجدتُ ما دعوتُ والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي» صحيح البخاري : (كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة «باب ما بين القبر والمنبر» . وصحيح مسلم كتاب الحج «باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة») .

واعلم أيضاً أن جبل أحد في الجنة ، كما أخبر عن ذلك النبي الأكرم ﷺ فقال : «إن أُحداً جبلٌ يحبنا ونحبه ، وهو على تُرعَة من تُرع الجنة ، وعَيرٌ على ترعةٍ من ترع النار» . (كما في سنن ابن ماجه رقم : ٣١١٥) .
هذا ما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض أجزاء المدينة من الجنة .

● **ويقابل ذلك في مكة المكرمة** : فالحجر الأسود والمقام فهما من الجنة أيضاً كما سأذكره في الفقرات الآتية إن شاء الله :

✪ فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضاً من اللّبَن ، ولكن سوَّدتْه خطايا بني آدم» (كما في مسند أحمد ١ / ٣٠٧ . وسنن الترمذي رقم ٨٧٧) .

✪ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب» . (رواه الترمذي رقم ٨٧٨ وصححه . وصحيح ابن حبان ٦ / ٩-١٠ . وصححه . وأورده الحاكم في المستدرك ١ / ٤٥٦) .

✪ **وكذلك ماءزمزم من عيون الجنة** ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن زنجياً وقع في زمزم فمات ، قال : فأنزل إليه رجلا فأخرجه ، ثم قال : انزفوا ما فيها من ماء ، ثم قال للذي في البئر : ضَع دلوَك من قِبل العين التي تلي البيت أو الركن ، فإنها من عيون الجنة . (ينظر مصنف ابن أبي شيبة ١ / ١٦٢ وقد توسع في إثبات هذا الأثر الإمام اللكنوي في السعاية ١ / ٤٢٣) .

وذكر القرطبي في ا لجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٧٠ عن عبدالله بن عمرو قال : إن في زم زم عيناً في الجنة من قِبل الركن .اهـ

وقرر الإمام الحافظ الحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ في كتابه «نوادر الأصول» صفحة ٣٤١ : في كلامه عن زمزم «إن الله تعالى أظهره من جنته غياثا» اهـ

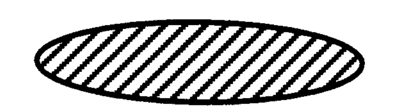

فضائل ماء زمزم وبركاته وما يقابله في المدينة

● **كيف ومتى ظهر ماء زمزم على وجه الأرض ؟؟** ذكر القرطبي رحمه الله مفسراً لقوله تعالى : ٩ / ٢٤٢ :﴿ ربنا إني أسكنتُ من ذرّيتي بواد غيرِ ذي زرع عند بيتكَ المحرّم ... ﴾ إبراهيم : ٣٧ وقال :

روى البخاري عن ابن عباس : أول ما اتخذ النساء المنطَق من قِبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتُعفّي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم - ﷺ - وبابنها إسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد؛ وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ؛ ووضع عندهما جِراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفّى إبراهيمُ منطلقاً فتبعته أم إسماعيل - عليه السلام - فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذاً لايُضيِّعنا ؛ ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ، ورفع يديه فقال : ﴿ ربِّ إني أسكنتُ من ذُرّيّتي بوادٍ غيرِ ذي زرع ﴾ إبراهيم : ٣٧ ، حتي بلغ ﴿ يشكرون ﴾ ، وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشتْ وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوّى - أو قال يتلَبَّطُ - أي يضطرب ويتحير - فانطلقتْ كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي ، رفعتْ طَرَف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود ، ثم جاوزت الوادي ، ثم أتت المروةَ فقامت عليه ، فنظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صهٍ ! تريد نفسها ، ثم تسمّعت فسمعت أيضاً

فقالت : قد أسمعتَ إن كان عندك غواث ! فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم ، فبحث بعَقبه - أو قال : بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلتْ تحوِّضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ؛ قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « يرحم الله أمّ إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معَيناً » قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافي الضيّعة ، فإن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يُضيّع أهله ؛ وذكر الحديث بطوله اهـ

لماء زمزم فضائل كثيرة ، أذكر بعضها بدليل واختصار وهي كالآتي :

● **ماء زمزم غسل به سيد القلوب قلب سيد الرسل** ﷺ : فروى البخاري عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر رضي الله عنهما يحدّث أن رسول الله ﷺ قال : «فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ، ففرج صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذَهَب ، ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعَرَج إلى السماء الدنيا ... » الحديث متفق عليه واللفظ للبخاري [(كتاب الصلاة) باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء].

وفي رواية لمسلم في صحيحه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظّ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ... » الحديث صحيح مسلم [(كتاب الإيمان ، باب الإسراء ١ / ١٤٨)].

وهناك مبحث نفيس حول ماء زمزم هل هو أفضل من ماء الكوثر أم لا ؟

✪ ذكره الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله تعالى في «لامع الدراري على جامع البخاري» ٥ / ١٩٦ وقال : «أجمع العلماء على أن ماءها أفضل مياه الدنيا إلا ما نبع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهل ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر أيضاً ، اختلفوا فيه : فمنهم من قال : لا .

وذهب أهل التحقيق إلى كونه أفضل منه أيضا أخذاً مما روي في قصة المعــــراج من غسل الملائكة صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمائها ، فلو كان ماء الكوثرأفضل منه لجيء به كما لا يخفى اهـ .

✪ وفي شرح الأشباه : إذا سُئلت ما أفضل المياه ؟ فقل ما نبع من أصابعه ﷺ ، وعلى هذا قال بعض الفضلاء نظما وقد أجاد :

أفضل الميــاه مــا قــد نــبــع
بـيـن أصــابـع النبــيّ ﷺ المـتــبـع
فـمـاء زمـزم فـمــاء الكــوثر
فنـيـل مصــر ثـم باقـي الأنــهــر

● وقال الزرقاني في شرح المهذب : واستدل شيخ الإسلام السراج البلقيني بغسل قلبه الشريف بماء زمزم على أنه أفضل من ماء الكوثر ، لأنه لم يغسل قلبه المكرم إلا بأفضل المياه ، وإليه يؤمي قول العارف ابن أبي جمرة في كتابه «بهجة النفوس» وتوقف السيوطي فيه : بأن كونه لا يغسل إلا بأفضل المياه مسلّم ، لكن بأفضل مياه الدنيا إذ الكوثر من متعلقات دار البقاء ، فلا يستعمل في دار الفناء ، ولا يستشكل أن يكون الطست من الجنة ، لأنه في استعماله ليس ذهاب عين بخلاف ذاك .

✪ وأجاب في الإيعاب : بأنه إذا سلم أنه لا يغسل إلا بأفضل المياه ، لزمه تسليم قول البلقيني وتخصيصه بأفضل مياه الدنيا لا دليل عليه ، والفرق بينه وبين الطست بما ذكر لا تأثير له ، لأن ذلك الوقت وقت إظهار كرامته وخرق العادة له ، وإلا لحرم استعمال الذهب ، وهذا مقتض لاستعمال ماء الكوثر لو كان أفضل ، فلما نزل إلى ماء زمزم اقتضى ذلك بقرينة المقام أنه أفضل منه ، وبهذا يرد على من نازع البلقيني أيضاً يعني السيوطي ، بخبر «لقاب قوس أحدكم في الجنة » الحديث إلى آخر ما بسط من الأسئلة والأجوبة إلى أن قال :

وما ذكر فيه ، أيٍ في ماء الكوثر من الخصوصية : أن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ، ورد في زمزم أعظم منه ، وهو أن من شرب منها

للأمن من العطش يوم القيامة أعطيه ، كما يصرح به الحديث الصحيح .

✪ وقول ابن الرفعة : الماء النابع من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم أشرف المياه ، لا يرد على البلقيني لأن النابع لم يكن موجوداً إذ ذاك ، ولا يرد على ابن الرفعة الحديث الصحيح : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم» لأن ما نبع من أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن موجودا عند قوله ذلك اهـ .

والحديث الذي ورد في الماء النابع من أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواه البخاري في كتاب المناقب «باب علامات النبوة في الإسلام ومسلم رقم ٥-٧ كتاب الفضائل «باب معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم» وهو كالآتي :

✪ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابَه بالزوراء (قال : والزوراء بالمدينة عند السوق ، والمسجد فيما ثَمّة) دعا بقدح فيه ماء ، فوضـع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتـوضأ جميع أصحابِه ، قال : قلت : كم كانوا يا أبا جمرة ؟ قال : كانوا زهاء الثلاثمائة . اهـ

وفي رواية أخرى للبخاري : « ... فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإِناء ثم قال : «حيَّ على الطهورِ المباركِ ، والبركة من الله» فلقد رأيت الماءَ ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

✪ زاد في رواية : «فجعلتُ أبادرهم إلى الماء أُدخله في جوفي لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : البركة من الله» رواه البخاري في صحيحه (كتاب المناقب) باب علامات النبوة في الإسلام ، وهذه الزيادة عند أحمد في المسند ١ / ٤٦٠ ، وأورده الحافظ في الفتح ٦ / ٥٩٢ .

● زمزم ماء قد مج فيه رسول الله ﷺ ليتبارك ذلك البئر إلى قيام الساعة :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى زمزم فنزعنا له دلواً ، فشرب ، ثم مج فيها ، ثم أفرغناها في زمزم ، ثم قال : لو لا أن تُغلَبوا عليها لنزعت بيدي» (كما في مسند الإمام أحمد ١ / ٣٧٢ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥ / ١٩٣ : إسناده على شرط مسلم) .

وفي رواية لأحمد في المسند ٤ / ٣١٨ : «أن النبي صلى الله عليه

وسلم أُتي بدلو من ماء زمزم ، فتمضمض ، فمجَّ فيه أطيب من المسك أو قال : مسك» اهـ .

✪ وذكر الشيخ سائد بكداش في «فضل ماء زمزم» ص ٦٤ : قول المحدث الفقيه ظفر أحمد التهانوي رحمه الله في «إعلاء السنن» فقال : وبهذا تعلم أن بركة ريقه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم قد حلّت على بركة زمزم ، «فازداد ماء زمزم بركة على بركة ، ولذةً على لذة ، وشفاءً على شفاء ، ونوراً على نور ، وطَهوراً على طهور ، بمجه صلى الله عليه وآله وسلم في دلوٍ قد أُهريق في زمزم .

✪ **فما أرحمه على أمته ، وأرأفه بها** ، فهو لم يرض بحرمان مَن يأتي بعده صلى الله عليه وآله وسلم من أمته إلى يوم القيامة من فَضل سُؤره ، وبركة طَهوره ، فديناه بآبائنا وأمهاتنا ، صلاة الله وسلامه عليه أبد الآبدين ، وعلى آله وأصحابه وأحبابه أجمعين . اهـ

● **زمزم خير ماء على وجه الأرض** فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام الطّعم ، وشفاء السُّقم» (ذكره ابن حبان في صحيحه وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (مع الفيض) ٣ / ٤٨٩ . وينظر مجمع الزوائد أيضا ٣ / ٢٨٦) .

● **ظهور سيد الأشربة بواسطة سيد الملائكة:** وذلك بأمر الله تعالى ولو شاء الله تعالى لأمر الماء أن ينبع ويخرج بنفسه ، ولكن لما أراد الله إظهار شرف هذا الماء ، وعظيم قدر مَن خرج له ، أمر سيد الملائكة جبريل عليه السلام ، فضرب الأرض بجناحه - كما مر - فخرج هذا الماء المبارك «في مقر مبارك ، لسيد مبارك ، بواسطة فعل أمين مبارك ، فكان في ذلك زيادة له في التشريف والتعظيم ، والله عز وجل يفضّل ماشاء من مخلوقاته» .

(بهجة النفوس لابن أبي جمرة ٣ / ١٨٩)

● **ماء زمزم نبع في أقدس بقعة على وجه الأرض** وذلك عند بيت الله

الحرام وقرب الركن والمقام ، وما كان هذا المقرّ المبارك ليأتي هكذا ، لكن ليُعلم كبير شرف هذا الماء ، وعظيم قدره ، حيث اختار الله له هذا المكان المناسب لخيريته وبركته ، فكان عند بيته المعظم ، سقيا من الله لضيوفه من الحجاج والعمار وجيران البيت العتيق . (من «فضائل ماء زمزم» للأستاذ سائد بكداش) .

● **ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم** : لقد ورد في فضل ماء زمزم بعض أمور مثل : هي طعام طعم وشفاء سقم : وهي لما شرب له . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام الطّعم ، وشفاء السُّقم» (ذكره ابن حبان في صحيحه وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (مع الفيض) ٣ / ٤٨٩ . وينظر مجمع الزوائد أيضا ٣ / ٢٨٦) .

✪ وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ماء زمزم لما شرب له » . (سنن ابن ماجه ، المناسك «باب الشرب من زمزم » ٢ / ١٠١٨ ، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد ٤ / ١٤٨ . وقال الهيثمي في حاشيته على مناسك النووي ص ٤٠٤ : والذي استقر عليه أمر محققي المحدثين أنه حسن أو صحيح) .

✪ وزاد الحاكم في المستدرك ١ / ٤٧٣ : من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : «فإن شربتَه تستشفى به شفاك الله ، وإن شربتَه مستعيذاً أعاذك الله ، وإن شربتَه ليقطع ظمأك قطعه الله» .

✪ قال الإمام المنُاوي في شرح هذا الحديث : «ماء زمزم لما شُرب له لأنه سقيا الله وغِياثه لولد خليله ، فبقي غِياثا لمن بعده ، فمن شرب بإخلاص وجَدَ الغوث .

وقال الحكيم الترمذي : هذا جار للعباد على مقاصدهم وصدقهم في تلك المقاصد والنيات ، لأن الموحِّد إذا رابه أمرٌ فشأنه الفزَع إلى ربه ، فإذا فزِع إليه ، واستغاث به وجد غياثا ، وإنما يناله العبد على قدر نيّته » (فيض القدير ٥ / ٤٠٤) .

✪ وقال في «نيل الأوطار» ٥ / ١٧٠ : وإن لفظ (ما) في قوله ﷺ : «لما شرب له» من صيغ العموم - فتعم أيّ حاجة دنيوية أو أخروية - .

✪ وقال في نوادر الأصول ص ٣٤١ : «فالشارب لزمزم إن شَرِبه لشِبَع أشبعه الله ، وإن شربه لرِيّ أرواه الله ، وإن شربه لشفاء شفاه الله ، وإن شربه لسوء خُلُق حسّنه الله ، وإن شربه لضيق صدر شرحه الله ، وإن شربه لغنى النفس أغناه الله ، وإن شربه لحاجة قضاها الله ، وإن شربه لأمر نابه كفاه الله ، وإن شربه لكُربة كشفها الله ، وإن شربه لنُصرة نَصَره الله . وبأية نية شربها من أبواب الخير والصلاح ، وفّى الله له بذلك ، لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثاً» اهـ .

✪ وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه الطويل في قصة إسلامه وفيه : «ولقد لبثتُ - يا ابن أخي - ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، وما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنتُ حتى تكسّرت عُكَنَ بطني ، وما وجدت على كبدي سُخفَةَ جوع ... قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ... قال : «متى كنتَ هاهنا؟» قال : قلت : كنتُ هاهنا منذ ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، قال : «فمن كان يُطعمك ؟» قال : قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، سمنتُ حتى تكسَّرت عُكَنُ بطني ، وما أجد على بطني سخفة جوع . قال - ﷺ - : «إنها مباركة ، إنها طعام طعم ...» (الحديث رواه مسلم رقم ١٣٢ كتاب فضائل الصحابة) .

● **ماء زم زم حنك به النبي ﷺ الحسن والحسين رضي الله عنهما :**

عن حبيب ابن أبي ثابت قال : قلت لعطاء : آخذ من ماء زمزم ؟ - يسأله عن حمله من مكة إلى غيرها - قال : نعم ، قد كان رسول الله ﷺ يحمله في القوارير ، وحنك به الحسن والحسين رضي الله عنهما بتمر العجوة» . (ذكره الفاكهي في «أخبار مكة» ٢ / ٥١) .

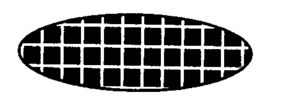

بعض أخبار المستشفين بماء زمزم

● ذكر القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ربنا إني أسكنتُ من ذريتي ... ﴾ إبراهيم : ٣٧ : وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تشتفي به شفاك الله ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله به ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه ، وهي هزمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل» .عليهما الصلاة والسلام .

وروى أيضا عن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا شرب من زمزم قال : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء» .

✪ **(هام جداً)** قال ابن العربي : وهذا موجود فيه إلى يوم القيامة لمن صحت نيته ، وسلمت طويته ، ولم يكن به مكذِّباً ، ولا يشربه مجرباً ، فإن الله مع المتوكلين ، وهو يفضح المجرِّبين . اهـ ما ذكره القرطبي .

● **استشفاء الإمام أحمد بن حنبل بزمزم** وهذا الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ حدّث عنه ابنه عبدالله قال : رأيته يشرب من ماء زمزم ، يستشفي به ، ويمسح به يديه ووجهه . (كما في سير أعلام النبلاء للذهبي ١١ / ٢١٢) .

● **استشفاء الإمام ابن القيم بزمزم :** قال ابن القيم رحمه الله : «وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض ، فبرأت بإذن الله» (كما في زاد المعاد ٤ / ٣٩٣) .

وقال : ولقد مر بي وقتٌ بمكة سَقِمتُ فيه ، وفقدتُ الطبيب والدواء ، فكنت أتعالج بها - أي بزمزم - بقوله تعالي : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ آخذ شربة من ماء زمزم ، وأقرؤها عليها مراراً ، ثم أشربه ، فوجدت بذلك البُرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع ، فأنتفع بها غاية الانتفاع» . (زاد المعاد ٤ / ١٧٨) .

● حصول الشفاء للإمام الشعراني من دُبلة في بطنه بشربه زمزم قال الإمام المذكور رحمه الله : «لما حججتُ سنة سبع وأربعين وتسعمائة ، كان في باطني دُبلة قدر البطيخة ، وكان الحكماء بمصر أجمعوا على شق جنبي وإخراجها من تحت طباق البطن ، فألهمني الله تعالى أني شربت بعد طواف الوداع من ماء زمزم على نية الشفاء منها ، فحصل لي بعد الشرب حرارة في الباطن ، حتي طبخت تلك الدبلة ، وخرجت سوداء مقطّعة مهبّرة - هو لحم بدون عظم - حتى ملأت طَشْتاً ، وهذا أمر لم يكن في قدرة الحكماء فعله» .
(كما في «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية» للشعراني ص ٢٤٢) .

هناك كثير من الناس قد نالوا الشفاء بماء زمزم ، وأخبار الاستشفاء بها كثيرة حتى قال الإمام القزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ :

✪ «وماء زمزم صالح لجيمع الأمراض المتفاوتة ، **قالوا : لو جُمع جميع مَن داواه الأطباء ، لا يكون شطراً ممن عافاه الله تعالى بشرب ماء زمزم**» (من «عجائب المخلوقات» ص ٩٣) .

نيات الصالحين عند شربهم لماء زمزم

● قــد مر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «ماء زمزم لما شرب له» ، قال العلماء : ففيه الحرص على استحضار نيات معينة عند شرب زمزم ، وكذلك يفهم منه : أن الدعاء مستجاب عند شربه ، وقد نال كثير من الناس ما أرادوا بشرب ماء زمزم ، ووجدوا ببركته ما فقدوا من حاجاتهم الدنيوية والأخروية ، وإليك بعض الأخبار في ذلك :

● نية سيدنا عمر رضي الله عنه عندشربه لزمزم وما أحسن النية لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند شربه لزمزم: رُوي أنه لما شرب ماء زمزم دعا بقوله : «اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة» (كما في «الجوهر المنظم» ص ٤٢ نقلا عن ابن المقري ، نشر الآس لوحة ١٧ أ) .

● نية سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهذا من جامع الدعاء

- الذي تضمن خيري الدنيا والآخرة - لحبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان إذا شرب ماء زمزم قال : «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاء من كل داء» .
(كما في المستدرك للحاكم ١ / ٤٧٣ ، ومصنف عبدالرزاق ٥ / ١١٣ ، سنن الدار قطني ٢ / ٢٨٨) .

● نية الإمام أبي حنيفة رحمه الله لمّا شرب زمزم ذكر الزمزمي في نشر الآس ١٦ب : عن «قرة العين» للشيخ غسان الواعظ الرومي :
«أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه شرب ماء زمزم ليكون من أعلم العلماء ، فكان كذلك ، وناهيك به علماً وصلاحاً وفضلاً» اهـ

● نية الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله عند شربه لزمزم: رُوي أنه «أتى زمزم فاستقى منه شربة ، ثم استقبل الكعبة ، ثم قال : «اللهم إنّ ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «ماء زمزم لما شرب له» وهذا أشربه لعطش يوم القيامة ، ثم شربه» .
(قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٢١٠ : رواه أحمد بإسناد حسن) .

● نية الإمام ابن العربي المالكي لما شرب زمزم روي عنه أنه قال :
«ولقد كنت بمكة مقيماً في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، وكنت أشرب ماء زمزم كثيراً ، وكلما شربته نويتُ به العلم ، ونسيت أن أشربه للعمل ، ويا ليتني شربتُه لهما ، حتى يفتح الله عليّ فيهما ، ولم يقدّر ، فكان صغوي إلى العلم أكثر منه إلى العمل ، ونسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته» .
«أحكام القرآن» ١ / ١٢٤ .

✪ رحم الله هذه النفوس الطيبة ما أكثر تواضعها لله ، وتبرؤها عن دعوى العمل وقد بلغوا في ذلك ما بلغوا .

● نية والد الإمام ابن الجزري لما شرب زمزم قال الحافظ السخاوي في ترجمة الإمام الحافظ ابن الجزري محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٣٣ :
«كان أبوه تاجراً ، ومكث أربعين سنة لم يُرزق ولداً ، فحج وشرب ماء زمزم

بنيـــّة أن يرزقه الله ولداً عالماً فوُلد له محمد الجزري بعد صلاة التراويح سنـــــة ٧٥١هـ» (كما في «الغاية شرح الهداية في علم الرواية» لابن الجزري ، للحافظ السخاوي ص / ٨)

● نية الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني لما شرب زمزم قال الحافظ ابن حجر أحمد بن علي رحمه الله : «وأنا شربته مرة وسألت الله وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث أن يرزقني الله حالةَ الذهبي في حفظ الحديث ، ثم حججتُ بعد مدة تقرُب من عشرين سنة ، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة ، فسألته رتبة أعلى منها ، فأرجو الله أن أنال ذلك» («جزء من حديث ماء زمزم» لابن حجر ص ١٩١) .

✪ قال تلميذه الحافظ السخاوي : «وقد حقق الله له ذلك» اهـ

✪ وقال السيوطي بعد أن ذكر خبر ابن حجر وشربه زمزم ، قال : «فبلغها وزاد» طبقات الحفاظ ص ٥٤٧ .

● نية الإمام ابن خزيمة لـمّا شـــرب زمـــزم روي عن الإمام الحافظ الحجة ابن خزيمة محمد بن إسحاق صاحب الصحيح المتوفى سنة ٣١١ أنه : «سئل من أين أوتيت العـلم ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مـاء زمزم لما شرب له» وإني لمـا شربتُ سألت الله عـلمـاً نافعاً» (كما في «سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٧٠ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٢١) .

● نية الإمـام الحـاكـم عنـد شـربه زمـزم رُوي عن الإمام الحافظ المحدِّث أبي عبدالله الحاكم - محمد بن عبدالله ، المتوفى سنة ٤٠٥ - أنه شرب ماء زمزم لحُسن التصنيف ، ولغير ذلك ، فصار أحسن أهل عصره تصنيفاً . (ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ / ١٠٤٤) .

● فشارب زمزم ينال من ذلك علي قدر نيته وتوجهه إلى ربه تعالى ، وإخلاصه في الدعاء ، وعلى قدر بعده عن موانع إجابة الدعاء ، كأكل المال الحرام ، واستعجال الإجابة .

وفي رواية للإمام مالك في موطئه ١ / ٢١٧ عن زيد بن أسلم أنه كان

يقول : «ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث : إما أن يُستجاب له ، وإما أن يُدّخر له ، وأما أن يُكَفّر عنه» . اهـ .

وفي رواية للإمام أحمد في المسند ٢ / ٤٤٨ : « ... إلا أعطاها إياه ، إما أن يعجلها له ، وإما أن يدّخرها له» اهـ .

✪ وهكذا فالأصل باقٍ أن زمزم شفاء سُقم ، وأنه لما شرب له ، وكما قال القاضي ابن العربي المالكي : «إن هذا موجود إلى يوم القيامة ، لمن صحّت نيته، وسلمت طويته ، ولم يكن مكذّباً ، ولا شربه مجرَّباً ، فإن الله مع المتوكلين ، وهو يفضح المجرِّبين» أحكام القرآن ٣ / ١١٢٤ .

هذا كله من كتاب «فضل ماء زمزم» للأستاذ سائد بكداش بحذف وزيادة ، وبتصرف يسير .

أفرأيتم الماء الذي تشربون؟

قال أبو طلحة : هذا جزء من «آية رقم : ٦٨ من سورة الواقعة» يسأل رب العباد العباد في هذه الآية عن الماء الذي يشربونه ولا يشكرونه حق شكره على انتفاعهم بماء عذب غير مالح فيسألهم ويقول : «﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟﴾ أي لتحيوا به أنفسكم ، وتسكنوا به عطشكم ﴿ءأ نتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب ﴿أم نحن المنزلون؟﴾ فإذا عرفتم بأني أنزلته فَلِمَ لا تشكروني بإخلاص العبادة ؟ ولِمَ تنكرون قدرتي على الإعادة ؟ ﴿لو نشاء جلعناه أجاجاً﴾ أي ملحاً شديد الملوحة قاله ابن عباس . وقال الحسن : مُراً قُعاعاً لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما . ﴿فلو لا تشكرون﴾ أي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم » (ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن » ١٧ / ١٤٣) .

قوله تعالى : ﴿فلو لا تشكرون﴾ ذكر ابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٩٧ عن أبي جعفر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا شرب الماء قال : «الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا» . اهـ .

● وكذلك في هذه الآية يدعو سبحانه وتعالى عباده بالنظر إلى الماء والفكر في منافعه، وليس المراد بالرؤية والنظر هنا النظر العادة الذي يلقيه الإنسان عند شربه على الماء لينظر فيه ما يضره من القذى أو غيره ، بل المراد منه الرؤية الفكرية القلبية (رؤية التفكر والإعتبار) بقصد القربة التي نحن في غفلة منها إلى الآن (إلا من يوفقه الله سبحانه) ليكون أزيد في بصائر الإنسان ، وفيه حجة ودلالة على أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، وفي مثل ذلك أنشدوا :

وفي كل شيء لـه آيـة تـــدلّ عـلى أنـه واحــد

● وقال تعالى في مقام آخر في سورة النحل : ١٠-١١ : «﴿ هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ○ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ﴾ أي يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ولهذا قال : ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ أي دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ؟ ءإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون ﴾ قاله ابن كثير رحمه الله تعالى : ٢ / ٥٦٥ .

✪ واعلم أن التفكر في مخلوقاته سبحانه من السموات والأرض وما بينهما نوع من أنواع الذكر والعبادة . وفي الصحيح للإمام البخاري : «وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه» . («باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت») .

✪ قال العلماء في معنى الحديث المذكور : إنما هو ذلك - أي التفكر - لا الذكر اللساني فقط ، فإنه لا يمكن استدامته ، لأن الإنسان ما دام في الدنيا لا يمكنه أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لكونه محتاجا إلى نوم وأكل وشرب ، وتحصيل مأكول ومشروب وملبوس ومركوب وغير ذلك من الحوائج اهـ .

✪ فعلم من ذلك أن التفكر في المخلوقات والإعتبار منها نوع من

الذكر والعبادة ، وذلك - أي التفكر والنظر - خاص بالإنسان دون الحيوان ، ومن لم يتصف بالتفكر فهـو كالأنعام بل هو أضل منها فإن الأنعام يسبحون الله نوعاً من التسبيح ، قال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ الإسرار : ٤٤ ولكن لا يتفكرون في مخلوقاته سبحانه .

● فكيف لا يكون التفكر في المخلوق ذكر وعبادة وقد حض الله تعالى على ذلك فقال ﴿ أوَ لم يتفكروا في أنفسهم ... ﴾ الروم : ٨ ، وقال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ الحشر : ٢١ ، وقال تعالى : ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ يونس : ٢٤ ، وقال تعالي : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ الأعراف : ١٧٦ ، والآيات في ذلك كثيرة تركناها للاختصار .

● بل قد ذم الله تعالى من لم ينظر إلى ما خلق الله بنظر الاعتبار ، ولم يكتف على ذلك بل شبههم بالحيوانات وقال فيهم : إن هؤلاء أضل من الحيوان طريقاً ، وعدهم من الغافلين فقال : ﴿ ولهم أعيُنٌ لا يُبصرون بها ﴾ (أي : لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ﴿ ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ سماع تأمل وتذكر ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ عن أمر الآخرة وما أُعدَّ فيها للعصاة) مابين القوسين نقلناه من «تنوير الأذهان » ١ / ٥٨٦ .

● وفي «تنوير الأذهان ٢ / ٤٥٩ » واعلم أن المراد من رؤية الآيات الانتقال منها إلى رؤية صانعها رؤية قلبية ، وهي حقيقة الإيمان .

● حكي أن علياً رضي الله عنه صعد المنبر يوماً ، وقال : سلوني ، فإنما ما بين الجوانح علم جَمٌ ، هذا لعاب رسول الله ﷺ في فمي ، وكان في المجلس رجل يماني فقال : ادعىٰ هذا الرجل دعوىٰ عريضة لأفضّحنّه ، فقام فقال : أسأل ؟ قال : سلْ ولا تسأل تعنتاً ، فقال : أنت حملتني على ذلك ، هل رأيتَ ربّك يا عليُّ ؟ قال : ما كنتُ أعبد رباً لم أره ؟ فقال : كيف رأيت ؟ قال : لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان ، ربي أحد لا شريك له ، أحد لا ثاني له ، فردٌ لا مثل له ، لا يُدرك بالحواس ، ولا

يقاس بالقياس ، فسقط اليماني مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : عاهدتُ الله أن لا أسأل تعنتاً . اهـ

✪ وذكر القرطبي في تفسيره ٤ / ٢٠٠ : وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بينما رجل مستلقٍ على فراشه ، إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم والسماء فقال : أشهد أن لك رباً وخالقاً ، اللهم اغفر لي ، فنظر الله إليه فغفر له» .

✪ وقال ﷺ : «لا عبادة كالتفكر» . وروي عنه عليه الصلاة والسلام : «تفكر ساعة خير من عبادة سنة» . . . اهـ من التفسير القرطبي .

● **ومن هذا المنطلق نقول** فإذا كان الماء المطلق نعمة عظيمة ، والشكر على ذلك مطلوب ، الرؤية والنظر فيه عبادة ، فكيف لا يكون النظر إلى سيد الأشربة (ماء زمزم) عبادة إذا كان بقصد القربة ، وهي مشتملة على فوائدها الجليلة الفريدة من خيرى الدنيا والآخرة .

✪ **فالنظر في ماء زمزم عبادة** : وقد روي في هذه الفضيلة أحاديث غير صحيحة، وآثار عن بعض التابعين، دعاني لذكرها استقصاء ما ورد في فضائل زمزم ، ولأنه يُتسامح في الفضائل ما لا يُتسامح في غيرها .

روى الفاكهي عن مكحول - التابعي - قال : قال رسول الله ﷺ : «النظر في زمزم عبادة ، وهي تحط الخطايا» كما في «أخبار مكة» وهو حديث مرسل ، وأيضا فيه إسحاق بن إبراهيم الطبري قال عنه الذهبي في المغني ١ / ١١٤ : منكر الحديث ، وستأتي شواهد للحديث تقويه . والله أعلم .

✪ **وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** : «خمس من العبادة ، النظر إلى المصحف ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر إلى الوالدين ، والنظر في زمزم ، وهي تحط الخطايا ، والنظر في وجه العالِم»

قال الأستاذ / سائد بكداش في «فضل ماء زم زم» : ص ١١٣ : عزاه السيوطي في الجامع الصغير ٣ / ٤٦٠ للدارقطني والنسائي ، ولم أجده فيهما ولم يتكلم المُناوي عن تخريج الحديث ، وعزاه في الدر المنثور ٤ / ١١٥

للدار قطني ، وفي كلا الموضعين لم يذكر الصحابيَّ الراوي ، ثم وجدت في مخطوطة لفيض القدير عزاه للدارقطني في الأفراد عن جابر رضي الله عنه ، وهذا هو الصواب والله أعلم .اهـ

وعن وهب بن منبه - التابعي - قال : «النظر في زمزم عبادة ، والنظر في زمزم يحط الخطايا حطّاً» . رواه أبو نعيم في الحلية ٤ / ٦٣ ، وقال المناوي في فيض القدير : ٥ / ٩٦ : رواه عبدالرزاق وابن منصور بسند فيه انقطاع . المرجع نفسه .

وقال علي القاري في المناسك ص ٣٠٠ : «والنظر إليها عبادة إذا قُصِد به القربة ، لا بطريق العادة» اهـ

وقال المناوي في فيض القدير ٦ / ٢٩٩ : «وإنما كان ذلك عبادة يُثاب عليها ، لأن الناظر عبَد الله بتلك النظرة» اهـ نقلا عن «فضل ماء زمزم» لسائد بكداش .

✪ هذا ما ذكرناه في فضل ماء زمزم بمكة ، وأما ما يقابل هذا في المدينة : بصقُه صلى الله عليه وآله وسلم في بئر بضاعة .

فعن أبي أسيد الساعديّ رضي الله عنه ، وله بئر في المدينة يقالُ لها بئرُ بضاعة ، قد بصق فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهي يشرب بها ويُتَيَمَّنُ بها » . رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات . وورد نحو ذلك من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، عند ابن شبة والطبراني في الكبير أيضاً . ينظر مجمع الزوائد ٤ / ١٢-١٣ و الطبقات الكبرى ١ / ٥٠٥ والمعجم الكبير ٦ / ١٤٩ .

✪ وكذلك بصقُه صلى الله عليه وسلم في بئر غرس . فعن يحيى بن سعد رحمه الله ، أن أنس بن مالك رضي الله عنه أتاهم بقباء ، فسألهم عن بئر هناك ، قال : فدللتُه عليها ، فقال : لقد كانت هذه ، وإن الرجل لينضَحُ على حماره فينزحُ فنستخرجها له ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر بذَنوبٍ ، فسقى ، فإما أن يكون توضأ منه ، وإما أن يكون تفل فيه ، ثم أمر به فأعيد في البئر ، قال : فما نُزحت بعد . رواه البيهقي في دلائل النبوة برجال

البخاري . ينظر دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ١٣٦ ، والبداية والنهاية ٦ / ١٠١ .

✪ وكل هذا دال على مكانة الحرمين الشريفين ، حيث حلت بركته ﷺ على كثير من مياههما . من «مكانة الحرمين» ص ١١٨ لملا خاطر .

أتدري كيف تشرب هذا الماء المبارك؟

● أخي في الله ! ويا شارب الماء - والمشروبات المثلجة المنوعة الملونة المرغوبة والمكونة بالماء الحلو - الذي تشربه ليل نهار وتسكّن به عطشك وتنال به لذة الشاربين : هو ماء مبارك - بنص قطعي رباني - أنزله الرب من السماء لينتفع به خلقه كما قال تعالى : ﴿ونزّلنا من السماء ماءً مباركاً ...﴾ ق : ٩ . أتدري كيف تشرب هذا الماء المبارك - والبركة من الله جلت عظمته - ؟ .

وفي الحديث الذي ورد في الماء النابع من أصابع النبي ﷺ -قد مر ذكره - كما في رواية البخاري : «... فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : «حيّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله» فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ .

وزاد في رواية : «فجعلتُ أبادرهم إلى الماء أدخله في جوفي لقوله ﷺ : «البركة من الله» وهذه الزيادة عن أحمد في المسند ١ / ٤٦٠ .

● فيا شارب الماء ! فلما تُدخِل هذه البركة الربانية وتُلقيها في جوفك عند شربك الماء البارد الحلو غير المالح ، هل تدري كيف تشربه؟ وماذا عليك بعدشرب هذا الماء المبارك حتى تكون مأجوراً على شربه مع ما تسكّن به عطشك ، وتحس به اللذة زيادة على الأجر والثواب .

وما أدراك ما نعمة الماء البارد ؟ ولا شك أنه نعمة عظيمة ، لأن حفظ حياة كل شيء بالماء ، وقال ﷺ : «كل شيء خلق من الماء» . وقد قال تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ الأنبياء : ٣٠ .

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ : «كان من دعاء داود - ﷺ -

يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إليَّ من نفسي ومالي وأهلي ، ومن الماء البارد ، وكان ﷺ إذا ذكر داؤد يحدث عنه يقول : «كان أعبد البشر» رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب . كما في المشكاة «باب جامع الدعاء» .

وقال في المرقاة ٥ / ٢٥٤ : «ومن الماء البارد» دل على كونه محبوباً جداً . . ● **وعن بعض العارفين:** «إذا شربتُ الماء ، أحمدُ ربي من صميم قلبي»

ويمكن والله تعالى أعلم : أن يكون كناية عن روحه ، لأن حياتها متعلقة بالماء . قال الله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيىء حي ﴾ ، فيكون المراد من نفسي مراداتها ومشتهياتها اهـ .

● قال شيخنا التهانوي رحمه الله : **قال لي شيخي السيد محمد يعقوب : يا أشرف ! اشرب من الماء الأبرد ، ليخرج من قرارة قلبك : «الحمد لله» . اهـ**

ملك من ملوك الدنيا ... وقيمة شربة ماء

● ذكر صاحب المرقاة في ٥ / ٢٥٥ في نهاية شرح الحديث المذكور وقال : ومما يلائم قضية عزة الماء ما حكي أن ملكاً وقع في صحراء ، وغلب عليه العطش ، فظهر له من رجال الغيب شخص معه ماء ، فطلب منه فأبىٰ ، فعرض عليه نصف ملكه ، فأعطاه ، ثم حصل له بعد الشرب عسر البول الذي لا يطيق الصبر عليه ، فقال للشخص : إن داويتَه - أي عسر البول - فأُعطيك مُلكي كله ، فدعا له ، فحصل له الفرج ، فعرض عليه المُلك ، فقال : مُلك يسوى نصفه لدخول شربة ، ونصفه لخروجها لا قيمة له ، فكيف أختاره ؟

وبهذا يتبين ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء » ، يعني فالحكمة في إطعامهم وإسقائهم وإبقائهم وزيادة إنعامهم : «إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» اهـ ما ذكره في المرقاة .

قــال أبو طلحــة : وهل يُنسى مثل هذا الرب عند شرب الماء المبارك الذي أنزله من السماء لتشربه أنت وتستفيد منه في حوائجك التي لا تعد ولا تحصى ؛ وتسكّن به عطشك وتنال به اللذة .

وصدق سهل بن عبدالله رحمه الله حيث قال ونعم ما قال : « لا أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب » اهـ .

وقال رجل للحسن رحمه الله : إن لنا جاراً لا يأكل الفالوذج ، ويقول : لا أقوم بشكره ، فقال : ما أجهل جاركم ؟ نعمة الله عليه من الماء البارد ، أكثر من نعمته بجميع الحلاوى» . تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤ / ٥٩٢ .

ولذلك ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «إن أول ما يسأل عنه - يعني العبد - أن يقال له : ألم نُصِحَّ لك جسمك ، ونرويك من الماء البارد» أورده القرطبي مفسرا لقوله تعالي : ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ اهـ .

● **اعلم يا عبدالله !** أن من عظمة مكانة ديننا الحنيف ومزيته الخاصة : أنه لا توجد خصلة من خصال حياة الإنسان ، ولا شعبة من شعب حياته في أمور الدنيا إلا والإسلام ينطق بها ، ويخبرك عن كيفية العمل بها بنظام رباني ، ويعلّمك فيها تعليماً حسناً ، ويؤدبك فيها تأديباً حسناً ، يندر مثله في الأديان السابقة . وقد قال تعالى : ﴿اليوم أكملتُ لكم دينَكم﴾ وما اكتفى ربي على إكمال دينه فقط بل قال بعده : ﴿وأتممتُ عليكم نعمتي﴾ ثم أعلن رضاه فــقال بعد ذلك : ﴿ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾ المائدة : ٣ ، ورضوان من الله أكبر . أي أكبر من جميع ما في الكون ، فسبحان من اصطفى لنا سلطان الأديان ، وهدانا لهذا ، وأعلن رضاه على ذلك والحمد لله على هذه النعمة السَّنيّة ، الموهوبة لنا من رب البريّة جلت عظمته .

الحمد لله حمدا لا انقطاع له
وليس إحسانه عنا بمقطوع

● فكيف لا يرضى عمن دخل في السلم - الإسلام - كافة ، وعمل بجميع شرائع الإيمان والإسلام وشعبه وأركانه ودعائمه ، وقد قال تعالى :

﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

● ومن شأن المؤمن الحقيقي أنه لا يقوم ولا يقعد ، ولا يمشي ولا يجري ولا يمسك شيئاً ولا يتركه ، لا يبصر ولا يسمع ، لا يأكل ولا يشرب ، حتى ولا يتفل هو ولا يبول برأيه وكيفيته ، بل يبحث في جميع الأحوال عن أوامر الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم يستعمله في جميع الأمور صغيرها وكبيرها ، فيصبح محبوباً عنده سبحانه ، وينال رضاه عز وجل ، وذلك لمن كان له قلب يفقه به ، وعينٌ يبصر بها ، وأُذنٌ يسمع بها ، ﴿ وذلك لمن خشي ربه ﴾ .

طولنا البحث في طريقة شرب الماء على وجه السنة ، نظراً إلى أهمية ما ذكرناه ، ومشجعا لإخوتي على السنة النبوية في جميع الأمور صغيرها وكبيرها ، (لأن اتباع السنة أفضل من كل عمل ، ولو كان أفضل بذاته ، لأن في الاتباع ما يربو على غيره ومن ثم قالوا : صلاة النافلة في البيت أفضل منها في المسجد الحرام وإن قلنا بالأصح إن المضاعفة تختص به) . مابين القوسين من كلام ابن حجر رحمه الله اهـ .

وذكر صاحب المرقاة في ٢ / ٤٧ قول الطيبي في أهمية السنة النبوية شارحاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ثلاثة لا تقربهم الملائكة (منهم) ... والمتضمخ بالخلوق ...» الحديث رواه أبوداود كما في المشكاة «باب مخالطة الجنب وما يباح له»

قوله : «والمتضمخ بالخلوق» أى الرجل المتلطخ بالخلوق وهو طيب له صبغ يتخذ من الزعفران وغيره ، وتغلب عليه حمرة مع صفرة ، والنهي مختص بالرجال دون النساء ، وإنما لم تقربه الملائكة للتوسع في الرعونة والتشبه بالنساء . قاله ابن الملك .

وقال الطيبي : **وفيه إشعار بأن من خالف السنة وإن كان في الظاهر مزيناً مطيبا مكرماً عند الناس ، فهو في الحقيقة نجس أخس من الكلب اهـ .**

فيا إخواتي في الله : فلذلك ندعوكم إلى أحسن الهدي هدي محمد

ﷺ في جميع شئون الحياة ، وما أحسن قول الشاعر في اللغة الأردوية :

اک پیغمبر ﷺ کی زندگی ہے سامنے
اور کیا چاہیئے آدمی کے لئے

● معناه والله أعلم : ما للإنسان في الدنيا أكثر نفعا وربحاً وفوزاً ونجاة في الدارين من ذلك : بأن أمامه أسوة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم - وسيد الأديان دين ا الإسلام - فما ذا يريد عبدالله بعد ذلك ؟ وهذا كما أخبر سبحانه وتعالى وحرض على ذلك قائلا : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخرة وذكر الله كثيراً﴾ . الأحزاب : ١٠٢ . **هذه الآية الكريمة** أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله - وشمائله - إلى آخر ما قاله ابن كثير رحمه الله .

وقال تعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحيِينَّة حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل : ٩٧ .

وهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ﷺ ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله ، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت .. الخ ماذكره ابن كثير رحمه الله .

فمن يؤمن بالله ويصدّقه سبحانه فيما وعد به الرجال والنساء على اختيار سنة نبيه ﷺ في الأعمال والأحوال ، فعليه أن يستعمل سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في جميع شئون حياته وأحواله وأقواله ، ولا يخاف في ذلك لومة لائم .

● للأسف ! نرى كثيراً من الناس اليوم - إلا ما رحم الله - لا يهتمون بسنن الحبيب المصطفى ﷺ ، ولا يزينّون حياتهم بها ، بل يعرضون عنها ، كأنه ليس في الإسلام عمل يعمل به - وإلى الله المشكىٰ - و يتبعون

في جميع شئون حياتهم : إخوة القردة والخنازير ، ويختارون لأولادهم معاشرة أعداء الله ويهّودونهم وينصّرونهم ويمجّسونهم من حيث المعاشرة والتهذيب - نعوذ بالله من ذلك - وقد أخبر سبحانه وتعالى في حقهم قائلا :

﴿ قل هل أنبئكم بشَرٍّ من ذلك مثوبةً عندالله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدَ الطاغوت أولئك شرٌّ مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ المائدة : ٦٠.

وذكر القرطبي في تفسير هذه الآية : ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لهم : «يا إخوة القردة والخنازير فنكّسوا رؤسهم افتضاحاً ، وفيهم يقول الشاعر :

فلعنة الله على اليهود
إن اليهود إخوة القرود

اهـ

● وقال الله تعالى في اليهود أيضاً : ﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾ البقرة : ٦١ وآل عمران : ١١٢ وقال : ﴿ وغضب الله عليهم ﴾ الفتح : ٦ .

وقال في النصارىٰ لعنهم الله : ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلُّوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ المائدة : ٧٧.

● وها أنتم أيها المسلمون ! قد أوجب الله عليكم أن تستعيذوا بالله من طريق اليهود والنصارىٰ في كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل في الصلوات أفضل العبادات ، قال رسول الله ﷺ : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (رواه مسلم في صحيحه رقم الحديث : ٣٩٤ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه).

وها أنتم تستعيذون بالله من طريق هؤلاء باللسان والجنان امتثالا لأمر الغفار ، والنبي المختار صلوات ربي وسلامه عليه ، في حال قيامكم أمام الجبار في جميع الصلوات تخاطبونه فيها بالجهر والإسرار فتقولون : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ۝ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ سورة الفاتحة : ٦-٧

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : فالجمهور أن ﴿المغضوب عليهم﴾ اليهود ، و ﴿الضالين﴾ النصارىٰ ؛ . .. ثم ذكر الآيات التي ذكرناها من قبل في اليهود والنصارىٰ . اهـ

فجميع هذه الآيات المذكورة أعلاه والآية التي نقرؤها في الصلاة (بين يدى كل مسلم تحذر المسلمين من الميل أو الركون أو الثقة أو التصديق فضلا عن عقدة الصداقة مع أي كافر أيا كان لون كفره وجنسه) (مابين القوسين من كتاب رسائل للحجاج والمعتمرين للشيخ يحيى إبراهيم اليحى .

● فبعد هذه المحاولة المذكورة أعلاه أقول : قد تبين الرشد من الغي ، فمن لم ينته في حياته عن اختيار معاشرة هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، وأعرض عن هدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في جميع شئون حياته ، بعدما سمعه من أقوال الله جلت عظمته ، فكأنه قد دعا إلى مسخ نسله إلى القردة والخنارير ، وباء بغضب من الله ، كما ذكرناه في الآيتين المذكورتين أعلاه ، وكأنه قد ضل وأضل ، وضل عن سواء السبيل ، وما كل ذلك من المسخ والضلال والإضلال وفقدان سواء السبيل إلا بسبب الإعراض عن أوامر الله سبحانه ، وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه . وقد قال تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ○ ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يُرجعون إليه فيُنبّئُهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾ النور : ٦٣-٦٤ . نعوذ بالله من ذلك .

هـــذا ونرجع إلى ما نريد من بيان سنة الحبيب المصطفي صلى الله عليه وآله وسلم في شرب الماء المبارك ، فنذكر في ذلك بعض الأحاديث في الفقرات الآتية ، وفقني الله وإخوتي إلى العمل بها :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تشربوا - شرباً - واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا أنتم رفعتم» الأناء عن الفم .

(رواه الترمذي كما في المشكاة باب الأشربة) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا . (متفق عليه) .

وزاد مسلم في رواية ويقول : إنه أروى - أى أشد رواء - وأبرأ - أى أكثر صحة للبدن - وأمرأ - أى أكثر هضما (كما في المشكاة المرجع السابق) .

قال في المرقاة شرح المشكاة : الشرب بثلاث دفعات أقمع للعطش ، وأقوى على الهضم ، وأقل أثراً في برد المعدة ، وضعف الأعصاب . اهـ

وفي رواية : قال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل : «فأبِن - من أبان الشيء عن شيء - القدح عن فيك ، ثم تنفّس» . (رواه الترمذي والدارمي كما في المشكاة «باب الأشربة») .

قوله ﷺ : « ثم تنفس» أى خارج الأناء ثم اشرب ، وفيه إيماء إلى جواز الاقتصار على مرتين وإن كان التثليث أنفس لكونه أمرأ وأهنأ وأروى ، ولأن الله وتر يحب الوتر ، وهو أكثرأحواله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يرد في حديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم اقتصر على مرة ... اهـ (من المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري رحمه الله) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُتنفّسُ في الأناء أو يُنفخُ فيه . (رواه أبو داود وابن ماجه كما في المشكاة (باب الأشربة) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً . (رواه مسلم ، المرجع السابق . ورواه أبو داود في سننه (كتاب الأشربة) عن أنس رضي الله عنه أيضا) .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «نهى أن يشرب الرجل قائماً» الحكمة في ذلك أنه يورث داء في الجوف ، وقال الحافظ ابن حجر :

إذا رُمْتَ تشرب فاقعد تفز	بسنة صفوة أهل الحجاز
وقد صححوا شربه قائماً	ولكنه لبيان الجواز

قوله : «رُمْتَ» أي أردت» .

● وقال ابن القيم في الهدى : من هديه صلى الله عليه وآله وسلم الشرب قاعداً هذا كان هديه المعتاد ، وصح عنه أنه نهى عن الشــرب قائماً ، وعنه أنه شرب قائماً ، فقالت طائفة : لا تعارض بينهما أصلاً ، فإنه شرب قائماً للحاجة ، فإنه جاء إلى زمزم ، وهم يستقون منها ، فاستقى فتناول الدلو فشرب وهو قائم ، وهذا كان موضع حاجة .

● وللشرب قائماً آفات عديدة منها : أنه لا يحصل به الريّ التام ، وينزل بسرعة واحدة إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها ، ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج ، وكل هذا يضر بالشارب ، فإذا فعله نادراً أو لحاجة فلا . قاله السيوطي .

وقال في «إنجاح الحاجة» : وقد ذكر علماؤنا أن شرب ماء زمزم وفضل الوضوء قائماً مستحب ، وكرهوا في غيرهما إلا إذا كان ضرورة ، والمطلوب في ماء زمزم وصول بركته إلى جميع الأعضاء ، وكذا في فضل الوضوء ... اهـ من («التعليق المحمود على سنن أبي داود» للشيخ فخر الحسن الكنكوهي) .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا يشربن أحد منكم قائماً ، فمن نسي منكم فليستقيء» . (كما في المشكاة باب الأشربة) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يُجرجِرُ في بطنه نار جهنم» متفق عليه . (المرجع السابق) .

أحبابي ! هذا هو هدي نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في شرب الماء المبارك فاقتدوا بهديه صلوات ربي وسلامه عليه تهتدوا .

وفــق الله الجميــــع آميــــن

الباب الثاني

باب هام جدا للحجاج والمعتمرين

وفيه ستة فصول وهي :

أتــدري أين أنت أيها الـزائر ؟ !

ذكر القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ٢ / ٧٨ / ٧٩ : ﴿أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود﴾ البقرة : ١٢٥ :

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجل في المسجد فقال : ما هـذا ؟ أتـدري أين أنت ؟ و قال حذيفة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الله أوحى إليّ : يا أخا المنذرين ! يا أخا المرسلين ! أنذر قومك أن لاّ يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب سليمة ، وألسنة صادقة ، وأيدٍ نقيّة ، وفروج طاهرة ، وألاّ يدخلوا بيتا من بيوتي مادام لأحد عندهم مظلمة ، فإني ألعنه مادام قائماً بين يديَّ ، حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، يكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» اهـ ما ذكره القرطبي رحمه الله .

وحسن أولئك رفيقا ، اللهم وفقنا لـما تحب وترضى ، وقـــدر لنا مرافقة هؤلاء في الجنة حتى نشرب معهم من لبن لم يتغير طعمه .آمين . وما ذلك على الله بعزيز

ملاحظة هامة جداً :قد مضت هذه الرواية مع الملاحظة القيمة على ذلك ، ينظر ص ٥٨ من هذا الكتاب لزاماً ، ففيه ما لا بد للإنسان منه .

الفصل الأول

بعض مسائل الحج وأحكامه

✪ **الحج :** هو الطواف والوقوف في مكان مخصوص ، في زمن مخصوص ، بفعل مخصوص .

● حكم الحج الفرضية ، في العمر مرة ، على كل مسلم ، عاقل ، بالغ ، حر ، مستطيع ، مالياً وبدنياً ، أما الاستطاعة المالية : فبامتلاك ما يستطيع السفر به والعودة إليه ، من زاد وراحلة . وأما الاستطاعة البدنية : فبالقدرة على السفر ، هذا في حق الرجل ، والمرأة مثله في ذلك تماماً ، وتزيد عليه شرطين اثنين هما : توفر الزوج أو المحرم معها ، وعدم العدة ، فإذا كانت معتدة من طلاق أو وفاة أو فراق ، لم يجب الحج عليها أداؤه ، بل توصي به في آخر حياتها ، وقيل : لم يجب أصلاً ما دامت كذلك . وذلك لقوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ آل عمران : ٩٧ . (من رسالة «أنوار الحجج» ص : ١٤ لعلي القاري رحمه الباري) .

قال العلماء : وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التي عُلمْت من الدين بالضرورة ، فلو أنكر وجوبه منكر كفر وارتدّ عن الإسلام .

وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ . (رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب وفي إسناده مقال ، وهلال بن عبدالله مجهول والحارث يضعّف في الحديث . كما في المشكاة «كتاب المناسك») .

وقوله ﷺ : «فلا عليه» أي فلا تفاوت إليه ، والمعنى : أن وفاته على هذه الحالة ووفاته على اليهودية والنصرانية سواء ، لأنه من كفران نعم الله تعالى ، وترك ما أمر به ، والانهماك في معصيته ، وهو من باب المبالغة والتشديد والإيذان بعظمة شأن الحج . -(من هامش «مشكاة المصابيح») .

● **ما هي الحكمة في الحج** : قال الإمام علي القاري في «أنوار الحُجج في أسرار الحِجج» ص ١٥ : الحج ذروة في التذلل إلى الله تعالى ، والخروج عن زينة الدنيا وملذاتها ، وتدريب للنفس على المسالمة مع الغير ولو كان حيواناً وتذكير لما عليه الإنسان من عجز وضعف ، وهو درس في المساواة بين الناس وصلة بين أطراف العالم الإسلامي ، تمتيناً - أي توثيقاً - لوحدته ، وتوقيراً لقوته .

وهذه المعاني وغيرها أيضاً مما هو موجود في هذه العبادة العظيمة ولا مجال لاستعراضها هنا - أمور يحتاج الإنسان إليها في حياته التي قد تغرقه في ملذاتها ونعيمها ، أو في متاعبها ومآسيها على سواء ، فتنسيه ربه وأهله ، فإذا بالحج يعيد إليه توازنه وتواضعه ، ويجعله يقف الوقفة الصحيحة المعتدلة بعد طول اعوجاج ، لهذه المعاني الجليلة عدّه النبي ﷺ أحد أركان الإسلام الخمسة ، حيث قال : «بني الإسلام على خمس : (منها) « ... حج البيت من استطاع إليه سبيلا» .اهـ ما قاله القاري .

✪ وفي «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» ٤ / ٤٤٥ : أوَ لا تستحي من أن تقدم عليه قدوم العاصي الشارد فيردك ولا يقبلك ، فإن كنت راغبا في قبول زيارتك إياه فنفّذ أوامره - جلت عظمته - وانته عن مخالفاته ، ورد المظالم لأهلها ، وتب إليه أولا من جميع المعاصي حسب الطاقة ، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك من الأهل والمال والولد ، لتكون متوجها إليه بوجه قلبك ، كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك ، فيجتمع قلب الباطن وقلب الظاهر ، ويكون كل منهما بشرط الاخلاص والتجرد ، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والتعب ، والشقاء آخراً إلا الطرد عن الحضرات والرد اهـ

● قال الراقم : وفي مثل ذلك انشدوا في اللغة الفارسية :

خرِ عیسیٰ اگرچه مکة رود
چون بیاید هنوز خر باشد

● معناه والله أعلم : أنه من أتى مكة لأداء فريضة الحج ، ثم لم يستفد من حجه كما يستفيد منه المخلصون ، ولم يُرزق مقصود الزيارة ، كما هو مذكور في الأحاديث فمثله كمثل الحمار الذي أتى مكة وجلس هناك عدة أيام فرجع وهو حمار كما كان ، ولم يستفد من زيارة بيت الله الحرام ، ولم يتغير ولم يتبدل . عافانا الله من ذلك . وهذا كما قيل في اللغة العربية وقد ذكرناه من قبل :

إذا لم تطب في طيبة عند طيب
تطيب به الدنيا فأين تطيب ؟

وقال الشاعر في اللغة الأردية :

حج ادا کرنے گیا تھا قوم کا لیڈر کوئی
سنگ باری کیلئے شیطان کی جانب گیا
ایک کنکر پھینکنے پر یہ ندا اُس نے سُنی
تم تو اپنے آدمی تھے تم کو آخر کیا ہوا

معناه والله أعلم : ذهب أحد الرؤساء لأداء فريضة الحج ، فلما قدم إلى الجمرات ورمى بالجمرة الأولى (أي الشيطان) حصبة واحدة ، سمع هاتفاً وهو يخاطبه ويقول : ما لك يا خليلي ! أتضربني أنت وترجمني وقد كنت من أحبائي الغالين وأخلائي اهـ .

نعوذ بالله من الشيطان الرجيم الذي قال بالحلف والتأكيد أمام رب العالمين : ﴿ فبعزتك لأغوينَّهم أجمعين ○ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ سورة ص : ٨١ - ٨٢ . **اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين آمين**

ملاحظة

ينظر جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

في نهاية هذا الكتاب

الفصل الثاني

في كيفية الحج والعمرة

● قال علي القاري في «أنوار الحجج ...» ص ٢٦ : سأبين في هذا المسرد أفعال الحج : «أركانه وشروطه وواجباته وأهم سننه» ...

✪ (١) **الإحرام من الميقات :** وهو نية الحج فقط إن كان الحج مفرداً ، نية مقرونة بالتلبية ولو مرة واحدة بصوت مسموع ، ورفع الصوت بالتلبية هنا مطلوب ومأجور عليه الحاج إذا كان رجلا ، أما المرأة فلا ترفع صوتها ، والنيـــة تكون في القلب مع ذكر التلبية باللسان ، فلو صرّح بالنية بلسانه أيضاً ، كان أفضل ، ويقول :

«اللّهُـمَّ إنِّي أريدُ الحَجَّ فَيَسِّره لي ، وتَقَبَّلْه منِّي ، لَبَّـيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّـيْكَ ، لَبَّـيْكَ لاَ شَـريكَ لَـكَ لَبَّـيْكَ ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَة لكَ والمُلْكُ ، لاَ شَـرِيكَ لَكَ» .

● فإذا كان قارناً قال : «اللَّهُـمَّ إنِّي أريدُ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ ...» .

✪ وإن كان متمتعاً قال : «اللَّهُـمَّ إنِّي أرِيدُ العمْرةَ ...» كل ذلك بعد التهيء للإحرام بخلع الثياب المخيطة للرجال ، ولبس الإزار والرداء ، وكشف الوجه فقط للنساء ، والاغتسال إن أمكن وإلا فالوضوء ، وتقليم الأظفار ، والحائض والنفساء تغتسل أو تتوضأ أيضاً لأن الغسل هنا للنظافة لا للطهارة ، كمـــا يسن إزالة الشارب والعانة وشعر الإبط ، وحلق الرأس أو تنظيفه وتنظيمه ، ثم صلاة ركعتين في غير وقت مكروه ، ينوي بعدهما النسك ، ويلبي ، أما الحائض والنفساء فلا صلاة عليهما ، وبذلك يكون قد بدأ أعمال الحج ، وحرم عليه كل ما يحرم على المحرم مما تقدم ، من جماع وحلق وصيد ولبس مخيط وما إليه ... ويكثر التلبية بصوتٍ عالٍ كلما علا جبلاً أو

هبط وادياً أولقي صديقاً ، فإنها سنة ، ويستمر كذلك حتى يرمي جمرة العقبة في اليوم الأول من عيد الأضحى وبعد ذلك يقطع التلبية .

✪ قال العلماء فليتذكر عند لبس الإزار والرداء الكفن ، ولفه فيه ، فإنه سيرتدى ويأتزر بثوبى الإحرام بعد تجرده من ثيابه ، [وأنه سيلقي الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة لما ورد : يحشر الميت في ثيابه] فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته في الزي والهيئة ، فلا يلقى الله عزوجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا ، وهيئة تخالف الهيئة ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن ليس فيه مخيط فما أشبهه به .

✪ (٢) **الاغتسال عند دخول مكة** ، إن أمكن ، وذلك للنظافة فقط .

✪ (٣) **التوجه فور دخول مكة إلى الكعبة للطواف بها** ، وهو طواف القدوم إن كان آفاقيا - كما تقدم - ومن السنة أن يقدمه على استئجار البيت إن أمكن ، وعلى الصلاة كذلك ، إلا أن يخاف فوات الصلاة المكتوبة ، أو الوتر ، فإن خاف ذلك ، يبدأ بالصلاة ، هذا ، وتحية البيت الحرام الطوافُ بدلا من الصلاة .

✪ ويبدأ طوافه من الحجر الأسود مكبرا مهللا رافعاً يديه لاستلامه وتقبيله إن أمكن وإلا أشار إليه بباطن كفيه ثم قبّلهما ، ويفعل ذلك في كل شوط ، ويسن في هذا الطواف الاضطباع في الثلاثة الأول ، وهو كشف الكتف اليمنى ، والرمل ثلاث مرات ، ويفعل ذلك في كل طواف بعده سعي فقط .

✪ **ملاحظة هامة :** هناك مبحث نفيس جدا في تقبيل الحجر الأسود فلينظر صفحة رقم ١٣٥-١٣٦ من هذا الكتاب لزاماً .

✪ ويسن للطائف أن يذكر الله تعالى في طوافه ، فإن قرأ القرآن أو غيره جاز. وقال أهل العلم : واعلم أنك بالطواف بالبيت متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدأ

الذكر إلا منه ولا يختم إلا به ، كما يبتدأ بالطواف من البيت ويختم بالبيت ، وهذا هو الذي وقعت الإشارة إليه في قوله ﴿ يسبحون بحمد ربهم ... ﴾ اهـ .

✪ ويسن الرمَل في الأشواط الثلاثة الأولى فقط ، وهو المشي السريع مع هز الأكتاف ، ويسن استلام الركن اليماني ، وهو الزاوية الجنوبية الغربية من البيت باليد دون تقبيل . ثم صلاة ركعتين إثر انتهاء الأشواط السبعة ، ومن السنة أن تكون في حِجر إسماعيل إن أمكن ، وإلا ففي أي مكان من الحرم .

ثم يلتزم الملتزم ، وهو أدنى باب الكعبة بينه وبين الحجر الأسود ويدعو عنده ، ويشرب من ماء زمزم ، وذلك سُنة إن أمكن ذلك .

✪ **ملاحظة هامة** : هناك مبحث نفيس جداً في ماء زمزم فلينظر ص ٨٤ إلي ٩٠ من هذا الكتاب لزاماً .

وأما التعلق باستار الكعبة والالتزام بالملتزم ، فلتكن نيته في الالتزام طلب القرب من الله تعالى حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت ، مع تصحيح القصد في ذلك وتبركاً بالمماسة ، واتباعاً لسنته صلى الله عليه وآله وسلم ، ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من بدنك .

كل هذا الذي مر إنما هو للمفرد ، فإن كان متمتعا طاف للعمرة بدل طواف القدوم ، وهو - أي طواف العمرة - في الأحكام والكيفية مثل طواف القدوم تماما باستثناء النية ، ثم سعى للعمرة ، ثم حلق أو قصر ، وتحلل ولبس ثيابه ، وانتظر حتى الإحرام في اليوم الثامن من ذي الحجة ، وليس عليه طواف قدوم .

✪ وإن كان قارناً طاف للقدوم ثم سعى للحج ، ولم يحلق ولم يتحلل ، ثم لم يتحلل من إحرامه حتى نهاية أفعال الحج كالمفرد سواء بسواء .

✪ (٤) **السعي بين الصفا والمروة** : فإذا أراد الحاج أن يسعى سعي الحج ، إثر طواف القدوم جاز ، وإن أخره إلى ما بعد طواف الزيارة «أي طواف الإفاضة» جاز أيضاً ، هذا في حق المفرد والقارن ، أما المتمتع فإنه يسعى للعمرة فقط ثم يحلق رأسه أو يقصره ، ويتحلل كما ذكرنا آنفاً .

✪ فإن أراد المفرد والقارن تقديم السعي هنا ، استلم الحجر الأسود ، وكبر وهلل ، وخرج من باب الصفا ندباً ، فصعد إلى الصفا ، واتجه نحو الكعبة ، وكبر وهلل ، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بصوت مرتفع ، ودعا بما شاء ، ثم مشى نحو المروة ، وصعد عليها ، وفعل مثلما فعل على الصفا ، ثم عاد إلى الصفا ، وهكذا سبع مرات ، الذهاب مرة ، والعودة مرة ثانية ، ويسن أن يهرول بين الميلين الأخضرين ، وهما ميلان في الطريق بين الصفا والمروة ، والهرولة هي المشية السريعة ، وهي فوق الرمل ودون الركض .

ثم يسكن مكة ويبقى فيها محرما حتى يخرج إلى منى يوم التروية ، وهو الثامن من ذي الحجة ، فإذا أراد الطواف بالبيت تطوعاً ، طاف ما شاء الله له ذلك ، وصلى في الحرم وخارجه ما شاء الله له ذلك أيضاً . والصلاة في الحرم أفضل من مائة ألف صلاة في غيره كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، فليحرص على الطواف والصلوات فيه من أحب التزود من الطاعة والثواب .

✪ (٥) **فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة** حضر خطبة الإمام بعد صلاة الظهر في المسجد الحرام ، وهي خطبة خاصة لتعليم الحجاج مابقي عليهم من مناسك الحج .

✪ (٦) **فإذا كان اليوم الثامن من ذي الحجة** ، وهو يوم التروية ، صلى صلاة الفجر في مكة ، ثم غادرها إلى منى ، وصلى فيها خمس صلوات ، هذا إذا كان مفرداً أو قارناً فإن كان متمتعاً ، أحرم بالحج من مكة بعد خلع ثيابه ، وفعل ما يلزم للإحرام مما تقدم بيانه ، ثم غادر مكة إلى منى مع الناس لإتمام أفعال الحج كالمفرد .

✪ (٧) **فإن كان اليوم التاسع من ذي الحجة** غادر منى بعد أداء صلاة الفجر فيها إلى عرفات ، وبقي فيها حتى الزوال «قبيل الظهر» .

✪ (٨) **فإذا زالت الشمس** ، دخل مسجد نمرة ، إن أمكنه ذلك ، وهو مسجد على طرف عرفات وليس منها ، فاستمع إلى خطبة الإمام . ثم صلى

معه الظهر والعصر معاً جمع تقديم ، ثم خرج من المسجد إلى عرفة ثانية ، ويبقي فيها داعياً وذاكراً حتى غروب الشمس ، فإذا غربت انتظر قليلاً ، ثم دفع مع الناس إلى مزدلفة دون أن يشتغل بصلاة المغرب ، فإن محلها مزدلفة مع العشاء جمع تأخير وجوباً ، فإذا وصل مزدلفة صلى فيها صلاة المغرب والعشاء جماعة ، أو منفردا ، ثم أقام ليلته فيها ذاكراً وداعياً ومصلياً (وينام أيضاً كما هو من هديه ﷺ) ... فإذا طلع الفجر صلى صلاة الفجر غلساً ، ثم قدم إلى المشعر الحرام في مزدلفة ، ودعا عنده بما شاء حتى الإسفار قرب طلوع الشمس» ثم دفع مع الناس إلى منى ، ورمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، وهي الجمرة التي تلي مكة «الجمرة الكبرى» ووقت هذا الرمي من طلوع الفجر من يوم النحر إلى طلوع فجر اليوم الثاني ، والأفضل أن يكون الرمي قبل غروب شمس يوم النحر ، إن أمكن ، وإلا فلا كراهة ، ولهذا فإنه لا داعي للاستعجال بالرمي إذا كان المكان مزدحماً .

✪ (٩) **فإذا عاد من رمي جمرة العقبة** ، ذبح هديه إن كان قارناً أو متمتعاً ، فإن كان مفرداً لم يذبح شيئاً على سبيل الوجوب ، فإن ذبح هدياً تطوعاً أُجر على ذلك إن شاء الله تعالى ، فإن عجز القارن أو المتمتع عن الهدي صام ثلاثة أيام في الحج «آخرها يوم عرفة» وسبعة أيام بعد أيام التشريق بدلاً من الهدي .

✪ **فائدة هامة** : قال في «اتحاف السادة المتقين» ٤ / ٤٥٣ :
أمارمي الجمار الثلاث فليقصد به الانقياد للأمر الإلهي ، إظهاراً للرق والعبودية ، وانتهازاً لمجرد الامتثال لأوامر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير حظ للعقل والنفس في ذلك لما سبق أنه أمر تعبدي ، لا مدخل فيه للعقل والنفس ، وإنما هو مجرد اتباع ولا شك أن من ترك شيئاً من اتباع الرسول ﷺ فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكذب نفسه في محبته لله ، بعدم تمام الاتباع .

✪ **وعند أهل الله** : لو اتبعه في جميع أموره ، وأخل بالاتباع

عمداً في أمر واحد ما اتبعه قط ، وإنما اتبع هوى نفسه ... هذا مقرر عندهم فلا ينبغي التساهل فيه . اهـ

✪ (١٠) **حلق شعر الرأس أو تقصيره** . فإذا فعل ذلك تحلل من إحرامه كله ، وحل له مايحل لغير المحرم . ولم يحرم عليه سوى إتيان النساء ، فإنه لا يحل له حتى يطوف طواف الزيارة «طواف الإفاضة» .اهـ ما ذكره القاريء .

فائدة هامة جدا للحاج والمعتمر

● اعلم أيها الحاج أو المعتمر ! ثبت الحلق والتقصير بالكتاب والسنة والإجماع : قال الله تعالي : ﴿ ... محلّقينَ رؤوسكُم ومُقَصِّرينَ لا تخافون ﴾ الفتح : ٢٧ .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : «اللهم ارحم المُحَلِّقين» قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : «اللهم ارحم المحلِّقين» قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصرين» . متفق عليه (المشكاة باب الحلق) .

وفي رواية لمسلم : دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة .

قال أبو طلحة : سبب تكرار الدعاء للمحلقين في الحديث المذكور : هو الحث عليه ، لأنه أبلغ في العبادة وأدل على صدق النية في التذلل لله ، لأن المقصّر مبق لنفسه من الزينة .

فمن أراد منكم - يا معشر الحجاج - التذلل لله ، وتكرار الدعاء لنفسه بقول نبيه ﷺ : «رحم الله المحلقين» فعليه أن يحلق رأسه بنية صادقة ، ويترك ما تهواه النفس وتشتهيه من إبقاء الزينة لها ، وقد رتب الله الجنة على الخوف منه وفي مخالفة النفس عن الهوى قائلاً : ﴿ وأما من خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ النازعات : ٤٠ .

و قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «حفت الجنة بالمكاره ، وحفة النار بالشهوات» (رواه مسلم واللفظ له ، ورواه أيضا الترمذي وأبو داؤد والنسائى) (المشكاة باب صفة النار وأهلها) .

✪ وقال تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ البقرة : ١٩٦ .

✪ **فأتموهما لله أيها الناس !** واتركوا ما تميل إليه النفس ، وتذللوا أنفسكم لله بعد وصولكم في بيت الله الحرام ، لأن الحج والعمرة غالباً لا يوفق لهما كل واحد في حياته مرة بعد أخرىٰ .

✪ **أيها الزائر** : فإذا لم تذلل نفسك لله في هذا الحين ، ولم تستطع على هذه التضحية وأنت في بيته سبحانه ، حيث تذلل جميع أعناق الجبابرة طوعاً أو كرهاً فأين تذللها لله سبحانه ؟ فكر في ذلك ولا تسوف وقد قيل :

إذا لم تطب في طيبة عند طيب
تطيب به الدنيا فأين تطيب ؟

● **حكاية عجيبة** : حُكي عن بعضهم أنه قال : رأيت رجلا في الطواف وبين يديه خَدَمٌ يطردون الناس ، ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفَّف ويسأل فحدقتُ النظر إليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل أو لا ؟ فقال : ما لك تطيل النظرإليَّ فقلت : أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا ، فقال : أنا ذاك ، إني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس . (راجع «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» : ٤ / ٣٢١) .

قصة نفيسة للإمام أبي حنيفة مع الحلاق

● قال وكيع : قال لي أبو حنيفة : أخطأت في خمسة أبواب من المناسك ، فعلَّمنيها حجام ، وذلك أني حين أردتُ أن أحلق رأسي وقفتُ على حجّام ، فقلتُ له بكم تحلُق رأسي ؟ فقال : أعَراقي أنت ؟ قلتُ : نعم . قال : النسك لا يشارَطُ عليه ، اجلس ، فجلستُ منحرفاً عن القبلة ، فقال لي : حرّك وجهك إلى القبلة . وأردتُ أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر ، فقال : أدرِ الشق الأيمن من رأسك ، فأدرتُه ، وجعل يحلِق وأنا ساكت ، فقال لي : كبّر ، فجعلتُ أكبّر حتى قمتُ لأذهب ، فقال لي : أين تريد ؟ قلت : رحلي . قال :

صلِّ ركعتين ثم امض ، فقلت : ماينبغي ما رأيت من عقل هذا الحجام ، فقلت له : من أين لك ما أمرتني به ؟ قال : رأيتُ عطاء ابن أبي رباح يفعـــل هذا .
(ذكره المحب الطبري . ومنه السيد سابق في مؤلفه «فقـه السنة » ١ / ٧٤٤») .

✪ (١١) **طواف الزيارة ، وهو الطواف الركن** ، ويسمى طواف الحج ، وطواف الإفاضة أيضاً ، وهو سبعة أشواط بعدها ركعتان ، ولهذا فإن على الحاج بعد رمي جمرة العقبة النزول إلى مكة لأداء طواف الزيارة هذا ، وهو سبعة أشواط كما ذكرنا فإن أخره إلى اليوم الثاني أو الثالث جاز ، على أن لا يتأخر عن غروب شمس اليوم الثالث من أيام النحر ، فإن تأخر عنه لزمه دَمٌ ، فدية . وبعد الطواف هذا يسعى سعي الحج إن لم يكن قد سعى له بعد طواف القدوم فإن كان قد سعى للحج ، بعد طواف القدوم فقد كفاه ، فإن انتهى من طـواف الزيارة والسعي للحج على ما ذكرناه ، حل من إحرامه تماماً ، وحل له كل شيء كان محرما عليه بالإحرام حتى النساء ، ثم يعود إلى منى للمبيت بها .

✪ (١٢) **وفي اليوم الثاني من يـوم النحـر : وفي اليوم الأول من أيام التشريق** يحضر خطبة الإمام بمنى بعد صلاة الظهر ، ثم يذهب لرمي الجمار وهي ثلاث في هذا اليوم، يبدأ بها بعد الزوال ، ووقتها مستمر إلى طلوع فجرٍ اليوم الذي يليه ، فيبدأ بالأولى مما يلي منى ثم الثانية ثم الثالثة ، ويرمي كلاً منها بسبع حصيات ، ويقف بعدها عند الجمرة برهة للدعاء ، إلا جمرة العقبة وهي الثالث الأخيرة فإنه لا يقف بعدها للدعاء .

(١٣) **وفي اليـوم الثالث من أيـام النحـر** . ينطلق بعد الزوال إلى الجمرات الثلاث ، فيرمي كلاً منها بسبع كما فعل في اليوم الثاني ، ووقتها مستمر إلى طلوع شمس اليوم الذي يليه ، ثم ينزل إلى مكة إن شاء ، ويطوف طواف الزيارة «طواف الإفاضة» إن لم يكن قد طافه من قبل ، وبهذا تكون أعمال حجة قد انتهت ، وإن شاء بقي في منى إلى اليوم الرابع ، ورمى الجمرات الثلاث كما فعل في اليومين السابقين بعد الزوال «وإن شاء أن يرميها هنا قبل الزوال جاز» ثم ينزل إلى مكة - وهو أفضل - قال تعالى :

﴿فمـن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى﴾ البقرة : ٢٠٣ .

أما إذا مكث في اليوم الثالث في منى حتى فجر اليوم الرابع فقد لزمه البقاء والرمي في اليوم الرابع قبل غروب شمسه . (هذا حكم المذهب الحنفي) .

(١٤) **طواف الصدر «الوداع»** وهو سبعة أشواط حول الكعبة الشريفة ، يصلي بعدها ركعتين وذلك عندما يريد السفر والعودة إلى بلده هذا إذا كان آفاقياً ، فإن كان مكياً أو من سكان الحل لم يلزمه هذا الطواف ، وكذلك الحائض والنفساء ، فإنه لا يجب عليهما هذا الطواف للعذر تخفيفاً من الله تعالى . اهـ ما ذكره علي القاري .

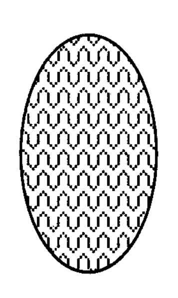

كيفية العمرة

• ذكر علي القاري في «أنوار الحُجج في أسرار الحِجج» ص ٣٣ . وقال :

العمرة هي إحرام ، وطواف ، وسعي ، وحلق أو تقصير .

أفعالها : أفعال العمرة أربعة هي :

(١) **الإحرام** : وهو نية العمرة ، بعد الاستعداد للإحرام بالحج تمامًا بشروطه وواجباته وسننه ، إلا أن النية فيه للعمرة بدلاً من الحج . فيشترط له الميقات للآفاقي أما أهل الحل فيحرمون للعمرة من بيوتهم ، وأما أهل الحرم فيخرجون إلى أقرب مكان من الحل ويحرمون منه بالعمرة .

فإذا أراد المعتمر العمرة ، خلع ثيابه ، ولبس الإزار إن كان رجلاً ، وكشفت وجهها إن كانت امرأة عند غيبة الرجال الأجانب ، ثم اغتسل أو توضأ ... ثم صلى ركعتين ثم قال :

• «اللَّهُـمَّ إنِّي أريدُ العُمرةَ فَيَسِّرها لِي ، وتَقَبَّلها منِّي ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لكَ والمُلْكُ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ»

• والإحرام شرط صحة العمرة ، فإذا أحرم المعتمر بالعمرة ، حرم عليه ما حرم على المحرم بالحج تماماً وقد تقدم .

✪ (٢) **الطواف** : فإذا دخل المعتمر مكة ، توجه نحو المسجد الحرام ، وطاف بالكعبة سبعة أشواط ، كما يفعل الحاج في طواف القدوم ، والطواف هذا ركن العمرة ، بل إن أربعة أشواط منه هي الركن والباقي واجب من واجباته .

✪ (٣) **السعي بين الصفا والمروة** : فإذا أنهى المعتمر طوافه ،

صلى ركعتين ، ثم توجه إلى الصفا وسعى بينها وبين المروة سبعة أشواط كما يفعل الحاج تماماً . والسعي هذا ليس ركناً في العمرة وإنما هو واجب من واجباتها .

✪ (٤) **الحلق أو التقصير** : فإذا أتم المعتمر سعيه ، قص من شعر ربع رأسه بمقدار أنملة أو حلقه ، فإن كان أصلعاً لا شعر له ، أمرَّ الموسى على رأسه وكفاه ، والحلق والتقصير هذا واجب من واجبات العمرة أيضا .

✪ فإذا فعل المعتمر ذلك تمت عمرته ، فيلبس ثيابه ، ويحل له كل شيء كان حراماً على المحرم ، حتى النساء ما لم يكن قارناً .

فإذا أراد أن يعتمر ثانية في اليوم نفسه أو بعده ، خرج إلى الحل وأحرم بالعمرة ثانيةً ، ثم دخل إلى الحرم وقام بأفعال العمرة كما تقدم . اهـ (ما ذكره علي القاري رحمه الله تعالى) .

قال بعض العلماء : إن الطواف بالبيت أفضل من الخروج للإتيان بعمرة .

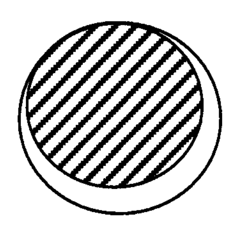

الفصل الثالث

بعض أنوار الحج الغريبة وأسراره الفريدة

✪ يا معشر الحجاج ! قد من الله عليكم أن هداكم للإيمان ، ثم دعاكم إلى بيته الحرام ، لأداء فريضة الحج على لسان أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام قائلا : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ الحج : ١٧ . فأجبتم دعوة ربكم ودعوة أبيكم إبراهيم ﷺ حينما فرغ (من بناء البيت ، وقيل له : أذن في الناس بالحج ، قال : يارب ! وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذّن وعليّ البلاغ ؛ فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبي قبيس ونادى :

● يا أيها الناس ! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ، ويجيركم من عذاب النار ، فحُجُّوا ؛ فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك ! » فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة ، إن أجاب مرّة فمرّة ، وإن أجاب مرتين فمرتين ؛ وجرت التلبية على ذلك ؛ (قاله ابن عباس وابن جرير) (ما بين القوسين من « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي ١٢ / ٢٦) .

✪ ها أنتم هؤلاء يا معشر الحجاج ! قد أجبتم دعوة ربكم وأبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهنيئا لكم ومرحبا بكم في الحرمين الشريفين .

✪ فعليكم عدم الانشغال بما لا يعنيكم ، وعليكم العمل بما قدمتم من أجله ، فقد صرفتم الأموال الطائلة وتركتم الأهل والوطن في سبيل الوصول إلى الحرمين الشريفين ، ولعل أحدكم لا يكتب له العودة مرة ثانية . لذا يلزمكم الانشغال في أيام الحج بما ينفعكم في الدارين .

✪ وقد قال النبي ﷺ : «ما من أيام أعظم عندالله ، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر ، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد» (رواه الإمام أحمد كما في التفسير لابن كثير ٣ / ٢١٧) .

✪ قال العلماء : الحج حرفان ، فالحاء : حلم الحق ، والجيم : جُرم الخلق ، والإشارة في تشديد الجيم مع نقطته : إلى أن الحق يغفر أنواع جرم الخلق مع كثرته . وإيماء أن رحمته سبقت غضبه في مرتبة أزلية ، لكن بشرط أن يكون الحاج مبرورا ، وسعيه مشكوراً ، بأن يكون سيره بتحسين النية ، والخروج عن المعاصي بالكلية ، وأن يكون زاهداً في الدنيا ، وراغباً في العقـبى ، وطالباً لمرضاة المولى ، مخلصاً في طاعته عن ملاحظة ريائه وسمعته ، وأن يكون زاده حلالاً طيباً .

● فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء أمتي للتنزه ، وأوساطهم للتجارة ، وقراؤهم للرياء والسمعة ، وفقراءهم للمسألة» (ذكره ابن جماعة المتوفى سنة ٣٧٩هـ . كما في «كشف الخفا» ٢ / ٥٤١ وقال : رواه الخطيب والديلمي عن أنس رضي الله عنه) .

✪ وذكر الإمام علي بن سلطان الهروي المكي في رسالته : «أنوار الحُجج في أسرار الحجج» ص ٤٦ : وعن بعض السلف أن رجلا جاءه فقال : أريد الحج ، فقال : كَم معك ؟ قال : ألفا درهم ، قال : أما حججت ؟ قال : بلى ، قال : فأنا أدلك على أفضل من الحج ؛ اقض دين مدين ، فرّج عن مكروب، فسكت ، قال: ما لك ؟ قال : ما أريد إلا الحج ، قال : إنما تريد أن تركب وتجيء ، ويقال : حج فلان .

✪ ويروى أن بعض أهل الصلاح رأى فيما يرى النائم : أعمال الحج تعرض على الله فقيل : فلان ، فقال : يكتب حاجاً ، فقيل : فلان ؟ فقال : يكتب تاجراً ، حتى بلغ إليه ، فقال : يكتب تاجراً ، قال : فقلت : ولِمَ ؟ ولستُ بتاجر ! . فقال : بلى حملتَ كُتبة غزل تبيعها على أهل مكة .

«الكُتبة» : الخرزة ، وهي نوع من الجواهر أو الأحجار الكريمة .

● وقال في تنوير الأذهان ٢ / ٢٧ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء – إلى قوله – والله بما يعملون محيط﴾ الأنفال : ٤٧ فيجازيهم عليه ، وفيه تهديد على الأعمال القبيحة خصوصاً هذه

الآية من البطر والرياء : هو إظهار الجميل وإبطان القبيح ، وهو من الصفات المذمومة للنفس :

● **حكايـة عجيبـة** عن بعض الصالحين أنه قال : كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي على الطريق ، أقرأ سورة طه ، فلما ختمتها غفوت غفوة ، فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي ، فإذا هي سورة طه ، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة ، إلا كلمة واحدة ، فإني رأيت مكانها محواً ولم أر تحتها شيئاً ، فقلت : والله لقد قرأت هذه الكلمة ، ولا أرى ثواباً ولا أراها أثبتت فقال الشخص : صدقتَ قد قرأتها وكتبناها ، إلا أنا قد سمعنا منادياً ينادي من قِبل العرش : امحوها واسقطوا ثوابها ، فمحوناها ، قال : فبكيت في منامي فقلت : لِمَ فعلتم ذلك ؟ فقال : مر رجل فرفعتَ بها صوتك لأجله فذهب ثوابها .

● **فعلى العاقل ! إخـلاص العمل** ، وهو إرادة التقرب إلى الله تعالى ، وتعظيم أمره وإجابة دعوته ، سواء كان من العبادات المالية أو البدنية . اهـ

✪ ثم قال الهروي : وفي الجملة ساق الشوق في محبة الله سبحانه إلى حرمه ، رجاء جوده وكرمه ، بحسب ما قرر كل أحد في قضاء الله وقدره .

✪ فقيل : إن سبب هذا الشوق والغرام دعاء إبراهيم عليه ا لسلام حيث قال : ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ﴾ إبراهيم : ٣٧ . قال جمع من المفسرين : أي تميل إليهم ، وتحنُّ عليهم ، وتقف لديهم – ولو قال : أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس ، ولكن قال : ﴿ من الناس ﴾ فهم المسلمون . قاله ابن عباس – ثم عبر عنهم بالأفئدة إيماء إلى أنهم خلاصة الخلق ، وزبدة طلبة الحق ، كما يؤميء إليه قوله سبحانه : ﴿ يُجْبىٰ إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ﴾ القصص : ٥٧ .اهـ

✪ وذكر الهروي في رسالته «أنوار الحجج» ص ٥٠ : واعلم بأن الباعث إلى الشوق الخالص إلى ثواب الله تعالى ومرضاته ، على قدر الفهم والتحقق بمشاهدة آياته وبيناته ، حيث جعله سبحانه مثابة للعالمين ، وأمنا للخائفين ، وملجأ للعائذين ، وأودع فيه ما شهدت به ألسنة الوجود من أرباب الشهود ، وأمر خليله بتطهيره للعابدين والعارفين . وشرفه بإضافته إلى نفسه

قال : ﴿وطهّرا بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ الحج : ٢٦ ، وكفاه بذلك شرفاً وفخراً ، وبه على سائر البقاع عظمة وقدراً .

● **فالواجب** على من يدوس عتبة باب الملوك ، وبساط انبساطهم لنيل المطالب ، وتحصيل المواهب ، وتيسير المناصب : أن يتحمل أنواع المتاعب ، ويتأدب بمحاسنِ المناقب ، بالإقبال على الله تعالى في الحركات والسكنات ، والتجرد ظاهراً وباطنا عن المخلوقات ، والانقطاع عن العلائق ، ومهما - أي كلما - ذكر المعصية جدد التوبة وكرر الأوبة ، لأنه من حصول الذنب على المعرفة ، ويكون بين الخوف والرجاء في كل حاله ، فلا ييئس من رحمته وكرمه، ولا يأمن من سخطه بسبب حلمه، إذ لا يجوز للمرء أن يغتر بعلمه ولا بعمله، بل يعتمد على جود ربه وفضله .

قال ابن جماعة : ويغلط كثير من الناس فيحجون بيت الله طالبين لرحمته ، بما قد يكون جالبا لنقمته ، فيصرون على ارتكاب السيئات ، ويبالغون في التباهي بالمحرمات ، والتزين بالمكروهات ، حتى ألبسوا الجمال الحرير والذهب ، ونحو هذا من المنكرات ، وما هكذا أمر الله أن يحجِ بيته الكريم ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبَهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ النور : ٦٣ .

✪ **ولقد خرج بعض الصالحين** في عصرنا من مصرنا إلى الحج مع القافلة ، فلما وصل إلى البِركة - اسم الموضع - وهي المرحلة ، رجع لما رأى من الأمور المنكرة ، والأفعال المزخرفة ، والأحوال المزورة ، ولعمري إنه لمعذور في هذا الباب لقوله تعالى : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ الأنفال : ٢٥ .

● **حكاية هارون الرشيد مع بهلول وهو في سفره إلى الحج** وعن عبدالله بن مهران قال : حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم أمر بالرحيل فخرج الناس ، وخرج بهلول المجنون فيمن خرج ، فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به ، إذ أقبلت هوادج هارون فكفَّ الصبيان عن الولوع به ، فلما جاء هارون ناداه بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين : فكشف هارون السجاف بيده وقال : لبيك يا بهلول ، فقال : يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قُدامة بن عبدالله العامري قال : «رأيت

النبي ﷺ يمضي على جمل ، وتحته رَحْلٌ رثٌّ» فلم يكن ضربٌ ولا طرد ولا إليك إليك ، وتواضعك في سفرك هذا ياأمير المؤمنين خيرٌ لك من تكبرك ، فبكى هارون حتى سقطت الدموع على الأرض وقال : يا بهلول زدنا يرحمك الله ، فقال :

هبْ أنك قد ملكت الأرض طرّاً
وأن لك العبادَ فكان ماذا ؟
أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ
ويحثو التُّربَ هذا ثم هذا ؟

● فبكى هارون ثم قال : أحسنت يا بهلول ، ثم أمر له بجائزة ، فقال : أردد الجائزة إلى من أخذتها منه ، فلا حاجة لي فيها ، قال : يا بهلول : إن يكن عليك دين قضيناه ، قال : يا أمير المؤمنين لا يُقضى دين بدين ، أردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك ، قال : يا بهلول فنجري عليك ما يكفيك ، فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله تعالى فمحال أن يذكرك وينساني ، فأسبل هارون السجاف ومضى .

والمقصود من هذه الحكاية بيان استماع هارون الحق وقبوله ، وذلك لأنه كان كالمكان الزاكي ، وقلبه كان حياً بالحياة الطيبة فلذا لم يخرج منه إلا الأخلاق الحميده . (ذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ١ / ٥٤٦) حققه الشيخ محمد علي الصابوني .

وذكر الهروي رحمه الله : ومن أهم ما يهتم به : إخلاصه لله تعالى وحده في جميع أمره ، فعنه ﷺ أنه قال : «إذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه ، نادى منادٍ : من كان أشرك أحدا في عمل عمله لله ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله تعالي أغنى الشركاء عن الشرك» (رواه أحمد ٤ / ٢١٥ والترمذي رقم : ٣١٥٤ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ... اهـ)

ومن أتم ما يجب التحرز عنه في أمره : النفقة ، بأن تكون من الحلال الخالص من الشبهة ، بقدر الوسع والطاقة . ففي صحيح مسلم رقم : ١٠١٥ :

✪ « ... أنه ﷺ ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى

السماء : يا رب يا رب ! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذّي بالحرام ، فأنّى يستجاب لذلك ... » الحديث .

● **وما أشد خسارة من بذل نفسه وماله** ، وبدّل حاله وجماله ، فيرجع بالحرمان وغضب الرحمان !! وفي الحديث : «إذا حج الرجل بالمال الحرام ، فقال لبيك اللهم لبيك ، قال الله : لا لبيك ولا سعديك ، حتى ترد ما في يديك» (ذكره ابن جماعة تبعا للغزالي لكن سكت عنه العراقي . وأخرجه ابن عدي في الكامل والديلمي في الفردوس رقم : **١١٧٢** ورمز السيوطي في الجامع لضعفه) .

وفي رواية : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك» ذكره الهروي في «أنوار الحُجج في أسرار الحِجج» ص **٥٣** .

ثم قال الهروي رحمه الله : ونسب إلى أحمد بن حنبل أنه قال :

إذا حججت بمال أصله سحت
فما حججت ولكن حجّتْ العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة
ما كل من حج بيت الله مبرور

● وينبغي للحاج أن يأخذ نفسه بالرحمة ، ولا يؤذي الناس بالزحمة ، لا سيما في ضيق الطريق وموارد الماء ، ولا يكسر قلوب الفقراء ، ولا ينهر في وجوه الضعفاء ، وليُبرّ بهم ولو بالقليل ، أو يصرفهم بالرد الجميل .

والحاصل : أن السالك في هذه المسالك ، ينبغي أن يكون متصفا بالشكر وبالصبر ، ولا يتأثر فيه ضيق الصدر ، وما يتعلق به من الضجر ، فقد قال بعض أهل الشعر :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

● وعن بعض الأولياء : العجب ممن يقطع المفاوز في البيداء ، ليصل إلى بيت الله وحرمه ، ويرى آثار النبوة وأنوار جوده وكرمه ، كيف لا يقطع

نفسه وهـواه في حبه ، ليصل إلى حضور قلبه ، فيرى آثار أنوار ربه ، وأزهار أسرار لبه .

فينبغي أن يكون سيره الظاهر إلى بيت ربه ، وسيره الباطن إلى تصفية قلبه ، وتزكية حبه ، فإنه هو المقصود والموجود - فيا للأسف هذا مفقود فينا والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● واعلم أيهـا الحاج ! «إن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان وفي مثله قيل :

يقـولون لي دار الأحبـة قـد دنـت
وأنت كئيـب إنّ ذا لعجيــب
فقلـت وما تغني ديار قــريبــة
إذا لـم يكـن بـين القـلوب قـريب
فـكـم مـن بعـيـد الدار نال مـراده
وآخـر جـار الجنـب مات كئـيـب

● وذكر الهروي في رسالته «أنوار الحجج ص ٦٦ : ويروى أن رجلا قال للفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى : إني أريد الخروج إلى مكة فأوصني ؟ فقال له : شمّر إزارك في الطلب ، وانظر إلى أين تذهب؟ وإلى من تذهب ؟ فخر الفضيل مغشيا .

✪ **ثم قـال : وليتـذكـر الحاج بـوصوله إلى الميقـات** : أن الله تعالى قد أهلّه للقدوم عليه ، والقرب إليه ، والـوقوف لديه ، فليلزم الأدب معه ، ليصـلح لإقباله وإدراك نواله .

✪ **وليتذكـر عند تجـرده من المخيط للإحـرام** : تجريده لغسل الموت حال الاختتام . ولينو عند تجرده عن محظورات الإحرام : أنه تجرد عن جميع المحرمات في أحكام الإسلام ، وعند غسله أنه اغتسل : من الخطايا والآثام .

✪ وقد قال بعض المشايخ الأخيار : موتوا قبل أن تموتوا . أي موتوا بالاختيار قبل أن تموتوا بالاضطرار .

✪ **وليتذكر عند لبس إزاره وردائه لفه في أكفانه حال فنائه** ، وعند تطيبه حال حنوطه ، وعند صلاة سنة الإحرام الصلاة عليه في فرض المقام .

✪ **وليتذكر حال التلبية** بعد تصحيح نيته وتزيين طويته : أنه يجيب الباري في دعوته إلى بيته ، الذي هو مهبط أنوار نبيه ﷺ ، ومعدن أسرار وحي صفيّه صلى الله عليه وآله وسلم وهو واقف بين الرد والقبول في مقام الحصول . فإن التلبية بداء الأمر ، وموضع الخطر ، فإن أقبل على الله بقلبه ، أقبل عليه الرب بفضله ، وإن أعرض أعرض عنه بمقتضى عدله - وقد قال تعالى : ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ هود : ٢٨ - .

● **وقد روى مصعب بن عبدالله** بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن مالك أنه قال : اختلفت إلى جعفر بن محمد ، وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلٍّ ، وإما صائم ، وإما يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا على طهارة ، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله جلت عظمته . ✪ ولقد حججتُ معه سنة ، فلما أتى الشجرة وأراد أن يهلّ كاد يغشى عليه ، فكلمته في ذلك ، وكان يكرمني وينبسط إليَّ ، فقال : يا ابن أبي عامر ، إني أخشى أن أقول : لبيك اللهم لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك . قال مالك : ولقد أحرم جده علي بن الحسين ، فلما أراد أن يقول : لبيك اللهم لبيك ، أو قالها غُشي عليه وسقط عن ناقته . فهشم وجهه رضي الله عنه .

● **وقال أحمد بن أبي الحواري** - هو الذي قال أبو داؤد فيه : ما رأيت أحدا بأعلم بأخبار النساك منه - : كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد أن يحرم فلم يلبِّ حتى سرنا ميلا ، ثم غُشي عليه فأفاق ، وقال : يا أحمد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : «مُر ظلمة بني إسرائيل أن لا يذكروني ، فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة » ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حلال ثم لبى قال الله : (لا لبيك ولا سعديك) فما نأمن أن يقال لنا ذلك .اهـ (ماذكره الهروي رحمه الله في أنوار الحجج) .

✪ ثم قال الهروي رحمه الله : **وليتذكر** عند انتشار المحرمين رافعي أصواتهم بالتلبية حال القيام من القبور ، وإجابتهم عند النفخة ﴿يوم

يدع الداع إلى شيء نكر ○ خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ○ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ القمر: ٦-٧ .

● **ثم اعلم بأنه لما كان المقصود** من لبس إزاره وردائه استمطار سحب آلاء الله ونعمائه ، والتذلل في الوقوف بكريم فنائه ، ألزم فيه العبد المخالفة في هيئته المعروفة ، وأمر بمجانبة الرفاهية ، ومباينة الملاذ المألوفة ، ونظر إلى أشرف أعضائه وألطف أجزائه ، فخوطب بامتهانه وكشفه ، ليعد إلى باب الله طالبا للطفه ، ومن تعرى لله في الدنيا يكسى الحلل في العقبى .

ويروى أن امرأة عابدة حجّت ، فلما دخلت مكة وجعلت تقول : أين بيت ربي ؟ أين بيت ربى ؟ فقيل لها : هذا بيت ربك ، فاشتدت نحوه تسعى ، حيث ألصقت جبينها بحائط البيت ، فما رفعت إلا ميّتة .

✪ **ثم انو عند استلام الحجر** أنكَ بايعت الله على لزوم طاعته ، ودوام الوفاء ببيعته ، فإنه عليه الصلاة والسلام قال : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه» .

وفي هامش «أنوار الحجج» ص ٧٤ : أورده السيوطي في الجامع الصغير ، ونسبه في تاريخ بغداد ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ورمز السيوطي لضعفه .

كما أورده في كشف الخفا ١ / ٤١٧ شطره الأول وقال ... ورواه القضاعي أيضاً عن ابن عباس موقوفاً عليه ، لكنه صحيح ومثله مما لا مجال للرأي فيه ، وله شواهد فالحديث حسن وإن كان ضعيفا بحسب أصله اهـ .
(وينظر «المطالب العالية» لابن حجر أيضاً : ١ / ٣٣٩ قال فيه : هذا موقوف جيد اهـ) .

وأورد بعض شواهده وقال : ومعناه كما قال المحب الطبري : «أن كل ملك إذا قُدم عليه قُبّلت يمينه ، ولما كان الحاج والمعتمر يسن لهما تقبيله نُزِّل منزلة يمين الملك على سبيل التمثيل ، ولله المثل الأعلى ، ولذلك من صافحه كان له عندالله عهد ، كما أن الملك يعطي العهد بالمصافحة اهـ .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «يأتي الركنُ يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيس - اسم جبل بمكة - له

لسان وشفتان يتكلم عمن استلمه بالنية ، وهو يمين الله يصافح به خلقه» (صحيح ابن خزيمه ٤ / ٢٢١ . والمستدرك ١ / ٤٥٧) .

ضَع فمك موضع فم رسول الله ﷺ بيقين

● ومما زاده شرفاً وفخراً فوق ذلك كله تقبيلُ رسول الله ﷺ له - أي الحجر الأسود - وذلك حين طاف بالبيت العتيق مستلماً له .

● «وإن في تقبيل المسلمين واستلامهم للحجر الأسود نقطة دقيقة ، وهي أن تقع أفواههم موضع فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفمِ الأنبياء الذين قبله عليهم الصلاة والسلام ، وأن تلمس أيديهم ما لمسته أيديهم الشريفة من هذا الحجر المكرم ، وأي مسلم خطرت بباله هذه النقطة لا يبادر بتقبيله واستلامه ؟!» (ينظر «التاريخ القويم» للكردري ٣ / ٢٩٩) .

● وقبِّل حجرا مكرّماً نزل من الجنة قال الإمام الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» ٤ / ٤٢ : «وقبِّل حجراً مكرماً نزل من الجنة ، وضَعْ فمك لاثما مكانا قبّله سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم بيقين فهنّأك الله بما أعطاك ، فما فوق ذلك مفخر ، ولو ظَفرنا بالمحْجن الذي أشار به رسول الله ﷺ إلى الحجر ، ثم قبّل محجنه ، لَحُقَّ لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل ، ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونَعله ﷺ

✪ وقــد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها ويقول : يدٌ مسَّت يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فنقول نحن إذا فاتنا ذلك : حجرٌ معظم بمنزلة يمين الله في الأرض ، مسّته شفتا نبينا ﷺ لاثما له ، فإذا فاتك الحجِ ، وتلقَّيتَ الوفــد ، فالتزم الحاج وقبِّل فمه ، وقــل : فَمٌ مسّ بالتقبيل حجراً قبّله خليلي ﷺ» اهـ .

✪ وقال الإمام عز الدين بن جماعة - رحمه الله - في «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك» ٢ / ٨٢١ :

● «**وإذا أراد الإنسان** أن يقبّل الموضع الذي قبله رسول الله ﷺ بيقين ، فليَستوعِب الحجر بالتقبيل إن أمكنه ، وقد استوعبتُه مرّات بفضل الله» اهـ .

✪ **ففي تقبيل الحجر الأسود صلةٌ وسندٌ عال متصلٌ بسيدنا رسول الله ﷺ بدون واسطة** ، مُسلسلٌ بتقبيل هذا الحجر المكرم ، ومتصل بالأنبياء الكرام والصحابة العظام ، ومن تبعهم من العلماء والصالحين ، ووفد الله وضيوفه من الحجاج والعمار ، ونسأل الله تعالى أن يُكرمنا بما هو أهله .اهـ (ذكره سائد بكداش في مؤلفه «فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم » ص ٤٣) .

✪ وقال الإمام الهروي في «أنوار الحجج» ص ٧٤ : **وإذا رملتَ في الطواف فانو :** أنك هارب من ذنوبك ، وإذا مشيتَ فترجَّ من ربك الأمن من عذاب ما هربتَ منه بقبول توبتك . وتذكر عند تعلُّقكَ بالأستار : تشبث الجناة بأذيال الكرام الأبرار .

✪ **وليحذر من الإساءة حال طوافه** ، ووقت اعتكافه ، وليحفظ جميع جوارحه تأدباً مع ربه في مقام قربه .

✪ **فقد روي أن رجلا طاف بالبيت** ، فبرق له ساعد امرأة ، فوضع ساعده على ساعدها ، يتلذذ به ، فلصق ساعداهما ، فقال له بعض الصالحين : ارجع إلى المكان الذي فعلت فيه تلك المعصية ، وعاهد رب البيت أن لا تعود إلى مثل تلك القضية بالإخلاص وصدق النية ، ففعل فتخلص عن البلية .

✪ **ويروى عن أبي يعقوب النهرجورى قال** : رأيت في الطواف رجلا له عين واحدة ، وهو يقول في طوافه : أعوذ بك منك ، فقلت له : ما هذا الدعاء ؟ فقال : إني مجاور منذ خمسين سنة ، فنظرت إلى شخص يوما فاستحسنته فإذا لطمة وقعت على عيني . فسالت عيني على خدي ، فقلت : آه ، فقال قائل : هبناك لطمة بنظرة ، ولو زدت زدناك . اهـ (ما ذكره الهروي رحمه الله) .

✪ وذكر ابن قدامة المقدسي رحمه الله في كتاب التوابين ص ٢٥٢ :

بينما إمرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يارب ! ذهبت اللذات ، وبقيت التبعات ، يارب ! سبحانك ، وعزتك إنك أرحم الراحمين ، يارب ! ما لَكَ عقــوبة إلا النار ، فقالت صاحبة لها كانت معها : أخيّة ! دخلت بيت ربّك اليوم ؟ فقالت : والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي ، فكيف أراهما أهلا أطأ بهما بيت ربي وقد علمتُ حيث مشتا وأين مشتا ؟ اهـ

قصة عجيبة لشاب وهو يطوف حول الكعبة

● وذكر ابن قدامة المقدسي في «كتاب التوابين» ص ٢٣٧ - ٢٤١ : .... عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : بينا أنا أطوف مع أبي - علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حول البيت في ليلة ظلماء ، وقد رقدت العيون ، وهدأت الأصوات إذ سمع أبي هاتفاً يهتف بصوت حزين شجيّ وهو يقول :

يا من يجيب دعــا المضـطرّ في الظلَمِ يا كاشف الضّر والبلوى مع السقم
قد نام وفــدك حــول البيت وانتبهــوا وأنت عينُــك يا قيــوم لم تنـمِ
هب لي بجودك فضل العفو عن جُرُمي يا مــن إليه أشــار الخلقُ في الحــرم
إن كان عفـوك لا يــدركه ذو ســرف فمــن يجـود على العاصين بالكرم

● قال : فقال أبي : يا بنيّ ! أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه ؟ الحقه فلعلّ أن تأتيني به ، فخرجت أسعى حول البيت أطلبه ، فلم أجده حتى انتهيت إلى المقام ، وإذا هو قائم يصلي ، فقلت : أجبْ ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأوجزَ في صلاته واتّبعَني ، فأتيتُ أبي ، فقلت : هذا الرجل يا أبت ؟ فقال له أبي : ممن الرجل ؟ قال : من العرب ، قال : وما اسمك ؟ قال : مُنازل بن لاحق ، قال : وما شأنك وما قصتك ؟ قال : وما قصــة من خذلته ذنوبه وأوبقته عيوبه فهو مرتطم في بحر الخطايا ، فقال له أبي : عليّ ذلك ، فاشرح لي خبرك .

قال : كنت شاباً على اللهو والطرب لا أفيق عنه ، وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول : يابنيّ ! احذر هفوات الشباب وعثراته ، فإن لله سطوات ونقمات ماهي من الظالمين ببعيد ، وكان إذا ألحّ عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب ، فلما كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة ، فأوجعته ضرباً ، فحلف بالله مجتهداً ليأتينَّ بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة

ويـــدعو عليّ ، فخرج حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبة ، وأنشأ يقول :

يا مَن إليه أتى الحجاجُ قد قطعوا	عرض المهامة من قربٍ ومن بُعد
أني أتيتك يا من لا يخيّب مــنْ	يدعــوه مبتهلاً بالواحــد الصمد
هــذا منازل لا يـرتد عن عققي	فخـذ بحقي يا رحمان من ولدي
وشل منه بحــول منــك جانبـه	يا مـن تقدس لـم يولد ولم يلـــد

● قال : فوالله ما استتمّ كلامه حتى نزل بي ما ترى ، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس ، قال : فلم أزل أترضاه وأخضع له وأسأله العفو عني ، إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعا علّي ، قال : فحملته على ناقة عشراء ، وخرجت أقفو أثره ، حتى إذا صرنا بوادي الأراك - قرب مكة - طار طائر من شجرة ، فنفرت الناقة ، فرمت به بين أحجار ، فرضخت رأسه - كسر الرأس - فمات ، فدفنته هناك وأقبلت آيسا ، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعبير أني لا أعرفَ إلا بالمأخوذ بعقوق والديه ، فقال له أبي : أبشر فقد أتاك الغوث ، فصلى ركعتين ، ثم أمره فكشف عن شقه بيده ، ودعا له مرات يردده‍ن ، فعاد صحيحا كما كان ، وقال له أبي : لو لا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك ، قال الحسن - ابن علي رضي الله عنه - : وكان أبي يقول لنا : احذروا دعاء الوالدين ! فإن في دعائهما النماء - البركة - والإنجبار والاستئصال والبوار - الهلاك - وذلك بعقوقهما وإيذائهما وعدم الإحسان إليهما . اهـ

● وذكر الهروي في «أنوار الحجج» ص ٨٠ : وقال الشيخ ابن الموفق : طفت بالبيت ليلة وصليت ركعتين بالحجر ، واستندت إلى جوار الحجر أبكي ، وأقول : كم أحضر هذا البيت الشريف ولا أزداد في نفسي خيراً ، فبينا أنا بين النائم واليقظان ، إذ هتف بي هاتف ، ياعلي : سمعنا مقالتك ، أو تدعو أنت إلى بيتك من لا تحبه !

✪ **وإذا سعـــيت فتـــذكر** تردد العـــبد في فناء دار السيد إظهاراً لمحبته ، وإشعاراً لخدمته ، ورجاء ملاحظته بعين جوده ورحمته . وكن كمن دخل دار ملِك وحرَمه ، وخرج منها مع خدمه وحشمه ، ولم يعلم هل قبله

المولى أم لا ، فهو تردد في فنائها مرة بعد أخرى ، طمعاً في القبول ، ورجاء إلى الوصول .

✪ ومثّل الصفا والمروة بكفتي الميزان ، ناظراً إلى الرجحان والنقصان ، متردداً بين الخوف والنيْران ، ورجاء الغفران .

✪ **وإذا وقفت بعرفة** ، فتذكر حال وقوفك بين يدي الله سبحانه يوم القيامة مع سائر الأمة ، وما هم فيه من شدائد الأهوال ، ومشقات الأحوال ، منتظرين ما يقضى عليهم من دار جنة أو نار . فكذلك أهل عرفة منتظرون ما قُسم لهم من قبول مع الأبرار ، أو رد مع الفجار.اهـ (ما ذكره صاحب «أنوار الحجج») .

البشارة الكبرى العامة لأهل عرفة يوم عرفة

● عن عباس بن مرداس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب أني قد غفرت لهم ما خلا المظالمَ ، فإني آخذ للمظلوم منه ، قال : أي رب ! إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة ، وغفرت للظالم ، فلم يجَب عشيته ، فلما أصبح بالمزدلفة ، أعاد الدعاء ، فأجيب إلى ما سأل ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو قال تبسم ، فقال له أبو بكر وعمر : بأبي أنت وأمي ! إن هذه لساعة ما كنتَ تضحك فيها ، فما الذي أضحكك أضحك الله سنَّك ، قال : إن عدو الله إبليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فأضحكني ما رأيت من جَزعه» . (رواه ابن ماجه وروى البيهقي في كتاب البعث والنشور كما في المشكاة كتاب المناسك «باب الدفع من عرفة والمزدلفة») .

✪ قال الراقم : وأورده القرطبي في تفسيره : ٢ / ٢٧٨ تحت قوله تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات ... ﴾ البقرة : ١٩٨ : وقال : ذكر الترمذي

الحكيم في «نوادر الأصول» ... عباس بن مرداس ... الحديث . اهـ .

✪ قال في اللمعات : اعلم أنهم قالوا : المراد من الأمة هم الواقفون بعرفة ، ومن ههنا قيل : إن الحج يكفر حقوق العباد أيضاً ، وقيل : هو محمول على مظالم الذي تاب عنه وعجز عن وفاء الحقوق . اهـ

✪ وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم عرفة إن الله ينزِل إلى ا السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكةَ فيقول : انظروا إلى عبادي أتوني شُعثاً غُبراً ضاجّين من كل فج عميق ، أشهدكم أني غفرتُ لهم ، فيقول الملائكة يا رب ! فلان كان يُرهّق - أي يتهم بسوء وينسب إلى غشيان المحارم - وفلان وفلانة ، قال : يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم ، قال رسول الله ﷺ : «فما من يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة» (رواه في شرح السنة كما في المشكاة (كتاب المناسك) «باب الدفع من العرفة والمزدلفة» .وأورده الترمذي الحكيم في نوادر الأصول كما ذكره القرطبي في تفسيره ٢ / ٢٧٨) .

✪ وذكر القرطبي في تفسيره ٢ / ٢٧٨ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا كان يوم عرفة غفر الله للحجاج الخالص ، وإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للتجار ، وإذا كان يوم منىً غفر الله للجمالين ، وإذا كان يوم جمرة العقبة غفر الله للسُّؤال ، ولا يشهد ذلك الموقف خلق ممن قال : «لا إله إلا الله» إلا غفر له» . (قال أبو عمر : هذا حديث غريب من حديث مالك ، وليس محفوظاً عنه إلا من هذا الوجه ؛ وأبو عبدالغني لا أعرفه ، وأهل العلم ما زالوا يسامحون أنفسهم في روايات الرغائب والفضائل عن كل أحد ، وإنما كانوا يتشدّدون في أحاديث الأحكام . اهـ من التفسير القرطبي) .

● عرفة وما أدراك ما عرفة؟: قال بعضهم : فهناك تسكب العبرات ، وتقال العثرات ، وتفاض الرحمات ، ويتجلّى الله على العباد ، وتفتح أبواب السماء ، ويستجاب الدعاء ، وتضج الأصوات بمختلف الأماني

واللغات ، وإذا الروح الأمين ينزل بالتحفة العظمى ، والنعمة الكبرى على سيد من حج ولبى واعتمر وطاف بالبيت العتيق وقبّل الحجر .

✪ عرفة وطأها أقدام الأنبياء وسيد الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم -والأولياء ، والأصفياء والشهداء والصالحين .

✪ وعرفة ميدان قد بشر الله سبحانه هناك نبيه وأمته صلى الله عليه وآله وسلم بإكمال دينه الحبيب ونعيمه وأعلن به قائلا : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ المائدة : ٣ ، أى أعلمتكم برضاى به لكم ديناً .

✪ ونزلت هذه الآية في يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بعَرَفَة على ناقته العضْباء ، فكاد عضُد الناقة يَنْقدّ من ثقلها فبركت قاله القرطبي رحمه الله .

✪ وهناك أعلن بإكمال الدين الذي قال فيه رب العالمين : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ آل عمران : ١٩ .

✪ وقال فيه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران : ٨٥ .

وقال فيه : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ الزمر : ٢٢ .

✪ فهناك - أي عرفة - يزيد الإيمان ، ويُقسم السرور والحبور والنور من النور القائل : ﴿ الله نور السموات والأرض ... ﴾ فهو نور على نور ، ينال الحضور -فيها - أي في عرفة - وذلك لمن خشي ربه .

✪ وهناك تذوق الأرواح حلاوة الرضا ، وتسكن ببرد الصدق والإخلاص ، وهناك الرسول صلوات الله وسلامه عليه يأمر بلالا قائلا : « استنصت الناس ، ثم قال : «أيها الناس إربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعا بصيراً :

فكم خاضع كم خاشع متذلل ... وكم سائل مدت إلى الله كفاه

وكـم حـامـد كـم ذاكـر ومسبـح ... وكـم مـذنب يشـكـو لـمـولاه بلـواه
ورب دعـانا نـاظـراً لخـضـوعـنـا ... خبـيـراً علـيـمـاً بـالـذي قد أردنـاه
ولـما رأى تلك الدموع الـتي جـرت ... وطـول خشوع في خضوع خـضـعـناه
تجـلى علينـا بـالـمـتـاب وبالرضى ... وبـاهى بنـا الأملاك حـين وقـفـنـاه
وقال انظروا شعثاً وغبرا جسومهـم ... وقـد وفـدوا فالكل يـطـلـب مـولاه
وقـد هجـروا أوطـانهـم وتـراثهـم ... وبلادهـم والكل يـرفـع شـكـواه
ألا فاشهـدوا إني غـفـرت ذنـوبهـم ... ألا فانسخـوا ما كان عـنـهـم نسخـنـاه
فيـا صاحبي مَن مثلنـا في مقـامـنـا ... ومَن ذا الذي قد نال ما نحـن نـلـنـاه
عـلى عـرفـات قـد وقـفنـا بمـوقـف ... بـه الذنب مغفور وفـيـه محـونـاه
وقـد أقبـل البـاري علينا بـوجـهـه ... وقـال ابشـروا فالعفـو فيكم نشـرناه
علـيَّ الـجـزا منِّي المثوبـة والرضـا ... ثـوابكـم يـوم الجـزا أتـولاه
فطيبوا سـروراً وافـرحـوا وتباشـروا ... وتـيـهـوا فـهـذا بـابنـا قـد فتـحـنـاه

● وقال الهروي في «أنوار الحجج» ص ٨٢ :

✪ **وتذكر اختلاف** أحوال الناس في موقف عرفة : وهم بين راكب من أهل القوة والثروة ، وماش وعاجز في القدرة ، حالهم يوم القيامة : فمنهم من يحشر راكباً على النجائب، ومنهم من يحشر ماشياً ، ومنهم من يحشر على وجهه ، على قدر المناقب والمناصب والمتاعب . فكن بين الخوف والرجاء في جميع المراتب .

✪ **وتذكر بانتظار غروب الشمس** ، وإفاضة الخلق : انتظار أهل المحشر فصل القضاء ، بشفاعة سيد الأنبياء عليه التحية والثناء .

✪ وروي أنه قيل ليونس بن عبيد المتوفى سنة ١٣٩هـ وقد انصرف من عرفات : كيف كان الناس ؟ فقال : لم أشك في الرحمة ، لو لا أني كنت معهم ، يقول : لعلهم حرموا بسببي .

✪ وقال بعض السلف : كنت بالمزدلفة وأنا أحي الليلة ، فإذا بامرأة تصلي حتى الصباح ومعها شيخ ، فسمعت وهو يقول : اللهم إنا جئنا من

حيث تعلم مكاننا ، وحججنا كما أمرتنا، ووقفنا كما دللتنا ، وقد رأينا أهل الدنيا : إذا شاب مملوك في خدمتهم تذمموا أن يبيعوه ، وقد شبنا في ملكك ، فارحمنا بلطفك ، وأعتقنا بجودك .

فهذا طريق العلماء الأبرار ، والمشايخ الأخيار ، في اجتنابهم من الآثام والأوزار ، خوف المحاسبة في دار القرار ، والمعاقبة بالنار في دار البوار .

✪ **وقيل** : إن من أعظم الذنوب : أن يحضر عرفات ، ويظن أن الله تعالى لم يغفر له، وذلك لأنه لا يأسٌ من رحمته ، وقنوط من مغفرته ، وسوء ظن بربه في حالته .

✪ وهذا لا ينافي كونه بين الخوف من غضبه ، والرجاء في لطفه وكرمه ، لأن المدار على خاتمة أمره ، ويقينه في آخر عمره ، فينبغي أن يداوم على الدعاء ، ويواظب على ثبوت القدم في مقام الرجاء ويواظب على كثرة الحمد والثناء في السراء والضراء ، ويرضى بما قدر الله عليه في عالم القضاء ، قائلا : اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وأدخلنا الجنة آمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . اهـ (ما ذكره الهروي رحمه الله في «أنوار الحجج ...») .

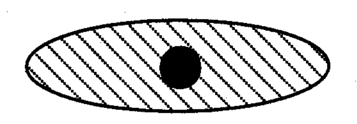

الفصل الرابع

روح الحج لمن أراد الحج

● ففي نهاية هذا الباب أود أن أكتب قصة الشبلي مع بعض أصحابه متضمنة لاعتبارات أعمال الحج من أولها إلى الآخر ، وذلك إتماماً للفائدة لمن أراد الحج ، وقد قال جلت قدرته : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ الأعراف : ١٧٦ .

وقال : ﴿لقد كان في قَصصهم عِبرة لأولى الألباب﴾ يوسف : ١١٠ .

✪ ولا شك أن مطالعته قبل الحج بحرارة وشوق وبنية الإخلاص توقظ في الإنسان ذوق حج المخلصين إن شاء الله .

✪ **وهذه القصة الغريبة** ذكرها صاحب «اتحاف السادة المتقين» ٤ / ٤٥٨ وقال : قال صاحب الشبلي :

✪ قال لي الشبلي : عقدتَ الحج ؟ فقلتُ : نعم ، فقال لي : فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد ؟ فقلت : لا ، فقال لي : ما عقدت .

✪ نزعتَ ثيابك ؟ قلتُ : نعم ، فقال لي : تجردت من كل شيء ؟ فقلت : لا ، فقال : لي ما نزعت .

✪ تطهّرت ؟ قلت : نعم ، قال : زال عنك كل علة بطهرك ؟ قلت : لا ، قال : ما تطهرت .

✪ لبّيتَ ؟ قلت : نعم ، قال : وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله ؟ قلت : لا ، فقال : ما لبيت .

✪ دخلتَ الحرم ؟ قلت : نعم ، قال : اعتقدت في دخولك الحرم ترك كل محرم ؟ قلت : لا ، قال : ما دخلت الحرم .

✪ قال : أشرفت على مكة ؟ قلت : نعم ، قال : أشرف عليك حال من الحق لإشرافك مكة ؟ قلت : لا ، فقال : ما أشرفت على مكة .

✪ دخلتَ المسجد ؟ قلت : نعم ، فقال : دخلت في قربه من حيث علمت ؟ قلت : لا ، قال : ما دخلت المسجد .

✪ قال : رأيت الكعبة ؟ قلت : نعم ، قال : رأيت ما قصدت له ؟ فقلت : لا ، قال : ما رأيت الكعبة .

✪ قال : رملتَ ثلاثا ، ومشيت أربعاً ؟ فقلت : نعم ، فقال لي : هربتَ من الدنيا هرباً علمتَ أنك فاصلتَها وانقطعت عنها ، ووجدت بمشيك الأربع أمناً مما هربت منه فازددت لله شكراً لذلك ؟ قلت : لا ، قال : ما رملتَ .

✪ صافحت الحجر وقبّلتَه ؟ قلت : نعم ، فزعق زعقة وقال : ويحك إنه قد قيل : «إن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه، ومن صافح الحق فهو في محل الأمن ، أظهَر عليك أثر الأمن ؟ قلت : لا ، قال : ما صافحت .

✪ وقفتَ الوقفة بين يدي الله عز وجل خلف المقام وصليتَ ركعتين ؟ قلت : نعم ، قال وقفت على مكانتك من ربك فأديت قصدك ؟ قلت : لا ، فقال : ما صليتَ .

✪ خرجتَ إلى الصفا ووقفت بها ؟ قلت : نعم ، قال : ايش عملت ؟ قلت : كبَّرتُ سبعاً ، وذكرت الحج ، وسألت الله القبول ، فقال لي : كبَّرتْ بتكبيرك الملائكة ؟ ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان ؟ قلت : لا ، قال : ما كبرت .

✪ نزلتَ من الصفا ؟ قلت : نعم ، قال : زال عنك كل علة حتى صفيت؟ قلت : لا ، قال : ما صعدت ، ولا نزلتَ .

✪ هرولتَ (بين الصفا والمروة) ؟ قلت : نعم ، قال : ففررت إليه ،

وبرئت من فراقك ووصلت إلى وجودك ؟ قلت : لا ، قال : ما هرولت .(كأن الشيخ أشار إلى إلى قصة سيدنا موسى ﷺ كما في قوله تعالى :﴿ ففَرَرتُ منكم لمّا خِفتُكُم﴾ الشعراء : ٢١ ، أو إلى قوله تعالي : ﴿ ففروا إلى الله ﴾ الذاريات : ٥ ، أى فروا من أنفسكم إلى ربكم ، قاله القرطبي) .

✪ وصلتَ إلى المروة ؟ قلت : نعم ، قال : رأيتَ السكينة على المروة ؟ فأخذتها إذ نزلتْ عليك ؟ قلت : لا ، قال : ما وصلت إلى المروة .

✪ خرجت إلى منى ؟ قلت : نعم ، قال : تمنّيتَ على الله غير الحال الذي عصيته فيها ؟ قلت : لا ، قال : ما خرجتَ إلى منى .

✪ دخلتَ مسجد الخيف ؟ (الذي في منى) ، قلت : نعم ، قال : خفتَ الله في دخولك وخروجك ؟ ووجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه ؟ قلت : لا ، قال : ما دخلت مسجد الخيف .

✪ دخلتَ إلى عرفات ؟ قلت : نعم ، قال : وقفت بها ؟ قلت : نعم ، قال : عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها ، والحال التي تصير إليها ، وعرفت المعرِّف لك هذه الأحوال ؟ قلت : لا ، قال : وما وقفت بعرفات .

✪ نفرتَ إلى المزدلفة ؟ قلت : نعم ، قال : رأيت المشعر الحرام ؟ قلت : نعم، قال : ذكرتَ اللهَ ذكراً أنساك ذكر ما سواه ؟ (كما أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ البقرة : ١٩٨) ، قلت : لا ، قال : ما وقفتَ بالمزدلفة ، (وفي تفسير القرطبي : المزدلفة : سميت بفعل أهلها ؛ لأنهم يزدلفون إلى الله ، أي يتقربون بالوقوف فيها ... وقال : والدعاء عنده من شعائر الحج ، ووصف بالحرام لحرمته) اهـ

✪ دخلتَ منىً ؟ فقلت : نعم ، قال : ذبحت ؟ قلت : نعم ، قال : نفسك ؟ قلت : لا ، قال : ما ذبحت . (قلت : والمراد بذبح النفس – والله أعلم – هو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهىٰ النفسَ عن

الهوىٰ فإن الجنة هي المأوىٰ﴾ لأن الإنسان في مجموعه محبوس الهوىٰ ، وبعيد عن الهدىٰ - إلا ما رحم ربي - وقال الشاعر :

إن تسألوني عن الهوىٰ فأنا الهوىٰ
وابن الهوىٰ وأخو الهوىٰ وأبوه

● وقال في تنوير الأذهان ٣/ ١٦ : وأفضل القربان (الذبح) بذل المجهود وتطهير القلب لتجليات الرب المعبود ، **قال مالك بن دينار** : خرجت إلى مكة فرأيت في الطريق شاباً إذا جنّ عليه الليل رفع وجهه نحو السماء ، وقال : يا من تسره الطاعات ! ولا تضره المعاصي ، هب لي ما يسرك ، واغفرلي ما لا يضرك ، فلما أحرم الناس ولبوا ، قلت له : ألا تلبي ؟ فقال : يا شيخ ! وما تغني التلبية عن الذنوب المتقدمة والجرائم المكتوبة ، أخشى أن أقول لبيك فيقال لي : لا لبيك ولا سعديك ، ثم مضى ، فما رأيته إلا بمنىٰ وهو يقول : «اللهم اغفرلي ، إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك ، وليس لي شيء أتقرب به إليك سوى نفسي ، فتقبلها مني ، ثم شهق شهقة وخرّ ميتاً » اهـ

✪ رميتَ ؟ قلت : نعم ، قال : رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك؟ قلت : لا ، قال : ما رميت .

✪ زرتَ ؟ قلت : نعم ، قال : كوشفت بشيء من الحقائق ورأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة ؟ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «الحاج والعمار زوّار الله ، وحق على المزور أن يكرم زواره» قلت : لا ، قال : ما زرت .

✪ أحللتَ ؟ قلت : نعم ، قال : عزمت على أكل الحلال ؟ قلت : لا ، قال : ما أحللت .

✪ ودّعتَ ؟ قلت : نعم ، قال : خرجت من نفسك وروحك بالكلية ؟ قلت : لا ، قال : ما ودعت ، وعليك العود ، فانظر كيف تحج بعد هذا ، وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك . اهـ (ما ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين») .

إزالــة شبـهـة

● وهنـا أحببت أن أرفع شبهة ربما تخطر في بال أحد فيقول : كيف قال الشبلي لمن حج وأحرم : ما أحرمتَ ، وما رملتَ ، وما طفت ، وما هرولت ، وما رميت ، وما ودعت وإلى غير ذلك من أفعال الحج وقد فعله الحاج ، حتى قال له في الأخير : «وعليك العود ، فانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرفت ؟ وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك» .

✪ قال الزبيدي بعد ذكر هذه الحكاية : إنما سقنا هذه الحكاية تنبيها وتذكرة وإعلاما أن طريق أهل الله على هذا مضى حالهم فيه ، والشبلي هكذا كان إدراكه في حجه ، فإنه ما سأل إلا عن ذوقه ، هل أدركه غيره أم لا ؟ وغيره قد يدرك ما هو أعلى منه ، وأدْوَن منه ، فما منهم إلا من له مقام معلوم ، والأذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في ذلك . اهـ

✪ **قال أبو طلحة :** وهو كما قال رحمه الله ، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى «رجلا - المسيء صلاته هو خلاد بن رافع رضي الله عنه - دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «وعليك السلام ارجع فصل ، فإنك لم تصل ، فرجع فصلى ، ثم جاء فسلم ، فقال : «وعليك السلام ، ارجع فصل فإنك لم تصل» فقال في الثالثة أو في التي بعدها : علمني يارسول الله ... » (الحديث متفق عليه كما في المشكاة «باب صفة الصلاة»)

● واعلم أن الصلاة فرض من فرائض الإسلام كما أن الحج فرض من فرائضه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً لم يصل صلاة كاملة مراعياً الأركان والواجبات ، ويحتمل أن يكون فعله هذا ناسيا أو غافلا أو بأنه لم يعلمه كما كان حقه فيتذكر فيفعله - قاله العلماء - لتكون صلاته أحسن وأعلى وأولى وأحلى وأجمل وأبلغ من التي صلاها ، فقال له صلى الله

عليه وآله وسلم مرتين أو ثلاثاً : «ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ» مع أنه صلى الصلاة مرتين أو ثلاثاً أمامه صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بإعادة الصلاة مرة بعد أخرى لتكون صلاته والخشوع فيها كما هو مأمور ومطلوب من الله جلت عظمته .

✪ وهناك أحاديث أخرى في الصلاة تفيدنا بأن الأذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في أدائها ، وأن الثواب والأجر يترتب على قدر الاهتمام بالسنن والآداب وعلى قدر الخشوع في الصلاة ، حتى إن البعض يكتب له العشر فقط ، والبعض ينال نصف الأجر ، كما يكتب للبعض أقل العشر أو زائدا على النصف ، والبعض يعود خالي اليد من الأجر ، وهؤلاء يصدق عليهم حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «يأتي على الناس زمان يصلُّون ولا يصلّون» (رواه الإمام أحمد في رسالته «الصلاة وما يلزمها») .

✪ حتى بعض الناس لا تنفعهم الصلاة ، كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعاذ من صلاة لا تنفع وقال : «اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع» [رواه أبو داود كما في جمع الفوائد رقم الحديث (٩٥٠٣)] .

✪ وكما أن بعض المصلين لا أجر لهم فيها قط بل الصلاة تدعو عليهم كما ورد في الحديث : « ... ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يُسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ولا سجودها ، خرجت وهي سوداء مظلمة تقول : ضيّعك الله كما ضيّعتني ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفّت كما يلف الثوب الخَلِق ثم ضُرب بها وجهه» (رواه الطبراني في الأوسط كذا في الترغيب والدر المنثور ، وعزاه في المنتخب إلى البيهقي ، وفيه أيضا برواية عبادة بمعناه ، وعزا في الجامع الصغير حديث عبادة إلى الطيالسي وقال : صحيح اهـ) .

✪ والأحاديث في هذا الباب كثيرة أكتفي بذكر بعضها : فعن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «إن الرجل لينصرف ، وما كُتب له إلا عشر صلاته ، تُسعها ، ثُمنها ، سُدسها ،

خُمسها ، رُبعها ، ثُلثها ، نصفُها» أورده أبو داود في سننه «باب ماجاء في نقصان الصلاة» .

✪ وقال قائل في هؤلاء الذين يصلون ولا يصلون :

وكـم من مصـل ما لـه من صلاته
سوى رؤيـة المحراب والكـد والعنـا

✪ وعـن أبي اليسر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم قـال : «منكم من يصلي الصلاة كاملة ، ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع ، حتى بلغ العشر» . (أورده السيوطي في الدر ٥ / ٤ ، وقال : أخرجه أحمد عن أبي اليسر مرفرعا) .

وفي رواية : «يوشك أن تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا» (أخرجه ابن ماجه بإسناد صححه الألباني ٢ / ٣٧٧) .

✪ **هـذا ما ذكرنـاه** في باب الصلاة من أحوال الناس وأذواقهم عند أدائها ، وهناك قول آخر المشهور - في أداء جميع العبادات والناس فيه أيضا مختلفون كما سنبينه في الفقرة الآتية- وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سأله جبريل عن الإحسان في حضرة بعض أصحابه صلى الله عليه وآله وسـلم فقال في جوابه :

« ... أن تعبد الله كأنك تراه ، فـإن لم تكن تراه فإنه يراك ...» (الحديث متفق عليه كما في المشكاة «كتاب الإيمان») .

✪ قـوله ﷺ : «**أن تعبـدالله**» قال في المرقاة ١ / ٥٩ - ٦٠ : أي توحده وتطيعه في أوامره وزواجره ، ... وقال بعض المحققين : وهي الغاية القصوى من ابداع الخلق وإرسال الرسل ، وكلما ازداد العبد معرفة ازداد عبودية ، ولذا خص الأنبياء وأولو العزم بخصائص في العبادة ، ولا ينفك العبد عنها مادام حيا ...» الخ .

✪ ثم قال مبيناً لأحوال العباد وكيفيتهم عند أداء العبادة : «إن العبادة حفظ الحدود ، والوفاء بالعهود ، وقطع العلائق والشركاء عن الشرك ، والفناء

عن مشاهدتك في مشاهدة الحق ، وله ثلاث مراتب :

✪ إما أن يعبده رهبة من العقاب ، ورغبة في الثواب ، وهو المسمى بالعبادة ، وهذه لمن له علم اليقين .

✪ أو يعبده تشوفاً بعبادته ، وقبول تكاليفه ، وتسمى بالعبودية ، وهذه لمن له عين اليقين

✪ أو يعبده لكونه إلهاً ، وكونه عبداً ، والإلهية توجب العبودية ، وتسمى بالعبودية ، وهذه لمن له حق اليقين ، والشرك : رؤية ضر أو نفع مما سواه ، وإثبات وجود غير الله ذاتا أو صفة أو فعلا .

✪ وقال في قوله ﷺ : «كأنك تراه» مفعول مطلق أي عبادة شبيهة بعبادتك حين تراه ، أو حال من الفاعل : أي حال كونك مشبهاً بمن ينظر إلى الله خوفا منه وحياء وخضوعا وخشوعا وأدبا وصفاء ووفاء .

✪ وهذا من جوامع الكلم ، فإن العبد إذا قام بين يدي مولاه لم يترك شيئاً مما قدر عليه من إحسان العمل ، ولا يلتفت إلى ما سواه ، وهذا المعنى موجود في عبادة العبد مع عدم رؤيته ، فينبغي أن يعمل بمقتضاه ، إذ لا يخفى أن من يرى مَن يعمل له العمل ، يعمل له أحسن ما يمكن عمله ، ولا شك أن ذلك التحسين لرؤية المعمول له العامل ، حتى لو كان العامل يعلم أن المعمول له ينظر إليه من حيث لا يراه يجتهد في إحسانه العمل أيضاً .

✪ ولذا قال : «فإن لم تكن تراه» أي تعامله معاملة من تراه «فإنه يراك» أي فعامله معاملة من يراك ، أو فأحسن في عملك فإنه يراك .

✪ وفي رواية : «فإن لم تره» أي بأن غفلت عن تلك المشاهدة المحصلة لغاية الكمال فلا تغفل عما يجعل لك أصل الكمال ، فإن ما لا يدرك كله ، لا يترك كله ، بل استمر على إحسان العبادة مهما أمكن فإنه يراك ، أي دائما فاستحضر ذلك لتستحيي منه حتى لا تغفل عن مراقبته ، ولا تقصر في إحسان طاعته .

ثم قال : وحاصل جميع الأقوال : الحث على الإخلاص في الأعمال ، ومراقبة العبد ربه في جميع الأحوال . اهـ (من المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري رحمه الله) .

✪ **هذا هو قصدنا بإيراد قصة الشبلي مع صاحبه** الذي حج وسأله عن ذوقه في الحج لعل الله ينفع بها بعض الحجاج ، فإن من لا يدرك كل معارف الحج وأسرا ره ، لا يترك كلها ، فمن الممكن أن يدركها الحاج كلها .

✪ **ولا يبعد ذلك** ، فمن جد وجد ، وقد قال تعالى : ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ أي محبوسا وممنوعاً . ثم قال تعالى : ﴿أنظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض﴾ في الرزق والعمل ، فمن مُقِلٍّ ومكثر ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ الإسرا : ٢١-٢٢ القرطبي ١٠ / ١٥٤

ومراقبة الحاج ربه في جميع أفعال الحج وأحواله كما حرض على ذلك الشبلي صاحبه ، تورثه فضيلة هذا الحج الذي أرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلا : «من حج لله ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه» متفق عليه كما في المشكاة (كتاب المناسك) . (ومن ملاحظة الشيخ ناصر حفظه الله : واعلم أن الشبلي ما اكتسب هذا الذوق في الحج إلا بهدي المصطفي ﷺ في الحج).

✪ قال الطيبي : «أي مشابها في البراءة عن الذنوب لنفسه في يوم ولدته أمه فيه » وهذا لا يمكن إلا إذا كان جميع أفعال الحج مليئة من الإخلاص والإحسان الذي بيناه في معنى قوله ﷺ : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

● هذا آخر ما في هذا الباب وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب ، ولا ريب في أنه يؤتي من يشاء ما يشاء وهو على كل شيء قدير .

رزقنا الله أشواق الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأذاقنا أحوالهم وأخلاقهم ، وأحيانا على طريقهم ، وأماتنا على محبتهم ، وحشرنا في زمرتهم حتى نشرب معهم من لبن لم يتغير طعمه ، آمين . وما ذلك على الله بعزيز .

...

الفصل الخامس

آداب الزيارة وكيفية الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما

● ذكر الشيخ ابن تيمية ، قال ابن وهب فيما يرويه عن مالك : إذا سلّم على النبي ﷺ يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويدعو ولا يمس القبر بيده اهـ . (من «اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٩٦) .

وفي الفتاوى لابن تيمية ٢٧ / ١١٦ : «اتفق الأئمة على أنه يسلم عليه عند زيارته ﷺ وعلى صاحبيه لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«ما مِن أحدٍ يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام»

وقال ابن تيمية : حديث جيد . اهـ

وقال الألباني : حديث حسن . راجع «صحيح سنن أبي داود كتاب المناسك» .

✪ وقال ابن تيمية في الفتاوى ٢٧ / ٢٦ : «وقد كان الصحابة كابن عمر وأنس وغيرهما يسلمون عليه ﷺ وعلى صاحبيه . اهـ

✪ قال الخفاجي في شرح الشفا ٣ / ٣٩٨ : قال السبكي صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتي القبر ويستقبله ، ويستدبر القبلة ، ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم على الشيخين ، ثم يرجع إلى موقفه الأول ويقف فيدعو . اهـ

✪ وقد ذكر الشيخ ابن القيم رحمه الله في قصيدته المعروفة بالنونية كيف تكون الزيارة ؟ وما هي الآداب عند الصلاة على النبي صلى الله عليه

وآله وسلم ، وهو واقف أمام المواجهة الشريفة فقال :

فإذا أتينا المسجد النبوي صلـيـ ـنـا التحية أولا ثنتـان
بتمام أركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ ـقبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل في السر والإعلان
فكأنه في القبر حيّ ناطق فالواقفون نواكس الأذقان
ملكتهم تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلم بالسلام بهيبة ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفا بالقبر أسـ ـبوعا كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجها لله نحو البيت ذي الأركان
هذي زيارة من غدا متمسكا بشريعة الإسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا رة وهي يوم الحشر في الميزان

(انظر النونية المشهورة لابن القيم رحمه الله)

● قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم ٩ / ١٠٦ : إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي . اهـ

✪ وذكر الشيخ عطية محمد سالم في رسالته «آداب زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ» ص ٢٥ :

✪ للجميع من مقيم وقادم أنه إذا مرّ من المواجهة في طريقه إلى الصلاة أو خروجه من المسجد ، أن كل من مر من هناك فإنه يسلّم عند مروره ، ولو لم يقف في المواجهة .

● والأصل في ذلك هو فعل ابن عمر رضي الله عنهما ، كان إذا أراد سفراً أو قدم من سفر جاء فوقف في المواجهة وسلّم .

✪ وكذلك نقل عن مالك في شرح «العتبيّة» لابن رشد أنه سئل عن المار بقبر النبي ﷺ أترى أن يسلم كلما مر ؟ قال : نعم ، أرى ذلك عليه أن

يسلم كلما مر به ، وقد أكثر الناس من ذلك ، فإذا لم يمر به فلا أرى ذلك اهـ .

✪ وفي ضوء الآية الشريفة : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ...﴾ قال ابن تيمة رحمه الله : وإذا قال في سلامه : «السلام عليك يارسول الله ، يانبي الله ، ياخيرة الله من خلقه ، يا أكرم الخلق على ربه ، يا إمام المتقين» فهذا كله من صفاته ﷺ بأبي هو وأمي ، وكذلك إذا صلى عليه مع السلام عليه ، فهذا مما أمر الله به» (مجموع فتاوى لابن تيمية ٢٦ / ١٤٦) .

● وروي عن عبدالله بن دينار أنه قال : رأيت عبدالله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر . (موطأ مالك باب ماجاء في الصلاة على النبي ﷺ) .

✪ وروي عن نافع قال : كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر ، يجيء إلى القبر فيقول : «السلام على النبي ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، ثم ينصرف» (الشفاء للقاضي عياض ٢ / ٦٧١) .

✪ وإن وصاه أحد بتبليغ سلامه لرسول الله ﷺ فليسلم عنه ويقول : «السلام عليك يارسول الله ﷺ من فلان بن فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد كان عمر بن عبدالعزيز يوصي بذلك . ذكره النووي رحمه الله في «شرح المهذب ٨ / ٢٨٤» .

✪ قال أبو طلحة : ومن أراد أن يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الزيارة فعليه أن يزيّن ذهنه ويحضر فيه كمال حسنه وجمال صورته ﷺ ، وذلك لحصول التوجه التام وزيادة في السرور والحبور في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فالعامل على هذا يحس الفرق واضحًا بين هذه الزيارة والتي قبلها إن شاء الله . وهذا مجرب .

وذكر في طبقات ابن سلام ص ١٨٠ : وكان أبو زبيد الطائي - وقد استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صدقات قومه - إذا مرّ بقبر صاحبه كان ينشد في هجرانه :

يا صاحب القبر السلام على
من حال دون لقائه القبر
يا هاجري إذ جئتُ زائره
ما كان من عاداتك الهجر

اهـ

سماعه ﷺ لمن صلى عليه بها عند قبره ورد السلام على من يسلم عليه بجواره ﷺ

● نعمت المزية لأهل المدينة ولغيرهم من الزائرين ، فهل هناك نعمة أعظم من هذه لمسلم يصلّي عليه ﷺ فيرد النبي ﷺ السلام - بنفسه الشريفة ومن غير واسطة - على من يسلم عليه ﷺ عند قبره الشريف ، والاستفادة بهذه المنقبة الشريفة لأهل الحرم أسهل وأيسر وأوفر وأحلى وأولى وأعلى وأسنى وأبقى ، وذلك لمن يرغب فيه ويوفقه سبحانه ، ومن جدّ وجد ، وما يلقّاها إلا ذو حظ عظيم ، وهنيئا لمن يوفق لهذه المزية والعطية من المسلمين .

وأما من سلّم وصلّى عليه صلى الله عليه وآله وسلم من مشارق الأرض ومغاربها ، بلغته الملائكة الكرام ذلك ، ولا ريب أن فيه منقبة أيضاً وهو التبليغ والرد .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله ﷺ قال : «ما من أحد يُسلِّم عليّ إلا رد الله علـيَّ روحي حتى أرد عليه السلام» . (رواه أحمد في مسنده ٢ / ٥٢٧ ، وأبو داؤد في سننه «كتاب المناسك» رقم : ٢٠٤١ ، وقال - وصححه النووي - وقال الحافظ : رواته ثقات ، وحسنه ملا علي القاري . (فضائل المدينة لملا خاطر ٢ / ٨٩) .

✪ وروى البيهقي في الشعب والأصبهاني في الترغيب : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلّى عليّ عند قبري سمعتُه ، ومن صلّى عليّ نائياً بلّغته» (كما في هامش «فضائل المدينة» للصالحي الشامي ص ١٢٦) .

قال أبو طلحة : (وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح في «كتاب حديث الأنبياء» حيث قال : وأخرجه أبو الشيخ في «كتاب الثواب» بسند جيد بلفظ : «من صلّى عليّ عند قبري سمعته ، ومن صلى عليّ نائياً بلغته» اهـ) .

✪ وذكر الدكتور ملا خاطر في «فضائل المدينة» ٢ / ٨٩ رواية عن

الإمام أحمد أيضاً بزيادة «عند قبري» ثم قال : «فإن صح وجود هذه الزيادة «عند قبري» يكون الحديث خاصا بمن يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وهذه منقبة كريمة فاضلة ، حيث يسمع صلى الله عليه وآله وسلم ويردُّ بنفسه الشريفة على المسلّم . وهذا ما جنح إليه الإمام أبو عبدالرحمن عبدالله بن زيد المقبري : أحد أكابر شيوخ البخاري رحمهم الله تعالى حيث قال في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما من أحد يسلّم عليَّ ...» الحديث : هذا في الزيارة ، إذ زارني ، فسلّم عليّ ، رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه اهـ .

✪ وقال الدكتور أيضا ٢ / ١٠٣ : «وإذا كان الأموات يسمعون السلام ويردون ، ويأنسون ، ويفرحون ، وهذا كله عام ، لكن ذلك من قرب . فالأنبياء من باب أولى أن يكونوا كذلك . والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى أن يكون كذلك . لكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزيد على ذلك بأمرين : تبليغ الملائكة سلامَ وصلاةَ من يسلّم ويصلي عليه ﷺ من بُعْدٍ ، وهـذا من خصائصه ﷺ .

✪ وكما أنه صلى الله عليه وآله وسلم يردُّ السلامَ على المسلِّمين عليه ، سواء بغير واسطة - وهم الذين يسلّمون عليه صلى الله عليه وآله وسلم عن قرب ، فيسمعهم ويرد عليهم - أو بواسطة - وهم الذين يسّلمون ويصلّون عليه صلى الله عليه وآله وسلم من بُعد ، فتنقل سلامَهم الملائكة المختصون بذلك . والله أعلم . اهـ

✪ وقد ذكر القرطبي في تفسيره الجزء ١٤ / / ١٥٢ : عن محمد بن عبدالرحمن أن رسول الله ﷺ قال : «ما منكم من أحد يسلّم عليّ إذا متُّ إلا جاءني سلامه مع جبريل ، يقول : يا محمد ! هذا فلان ابن فلان يقرأ عليك السلام ، فأقول : وعليه السلام ورحمته وبركاته» اهـ .

✪ وقال القاضي في الشفاء ٢ / ٧٩ : وذكر بعضهم أن العبد إذا صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم عُرض عليه اسمه . اهـ .

✪ وذكر أيضاً في ٢ / ٨٠ : عن سليمان بن سُحيم : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقلت : يارسول الله ! هؤلاء الذين يأتونك فيسلّمون عليك أتفقَهُ سلامَهم ؟ قال : «نعم وأردُّ عليهم» اهـ . (والمعروف أن الرؤيا والأحلام ليست مصادر شرعية انتبه)

✪ **وذكر ابن تيمية رحمه الله** في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجداً أو وثناً يُعبد ... ثم قال : ولا يدخل في هذا الباب ما يروى أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين ، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك اهـ . (راجع «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٣٧٣) .

ما أجود هذه الأمنية

● ما أجود هذه الأمنية وذلك لمن أحب زيادة السلامة والبركة من تسليمه صلى الله عليه وآله وسلم عليه .

✪ (١) فعن أنس أو غيره أن رسول الله ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال : «السلام عليكم ورحمة الله» فقال سعد : وعليكم السلام ورحمة الله ، ولم يسمع - من الاسماع - النبي ﷺ حتى سلّم ثلاثا ، ردّ عليه سعد ثلاثا ، ولم يسمعه ، فرجع النبي ﷺ فاتبعه سعد فقال : يارسول الله ! بأبي أنت وأمي ! ما سلّمتَ تسليمة إلا وهي بأذنيَّ - أي في مسموعي - ولقد رددتُ عليك ولم أسمعك ، أحببتُ أن استكثر من سلامك ومن البركة ... » الحديث . (رواه في «شرح السنة » كما في المشكاة «باب الضيافة») .

✪ (٢) وعن أبي حاتم ... عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : « ... قال - ﷺ - : «مروا بنا إلى منزل ابن التيهان أبي الهيثم الأنصاري» قال : فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أيدينا فسلّم واستأذن ثلاث مرات ، وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام ، تريد أن يزيدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السلام، فلما أراد أن ينصرف، خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم ، فقالت : يارسول الله ! قد والله سمعتُ تسليمك ، ولكن أردتُ أن تزيدني من سلامك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «خير» ... » الحديث . (من التفسير لابن كثير رحمه الله تعالى : ٤ / ٥٤٦) .

✪ (٣) وعن قيس بن سعد بن عبادة – قال : زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال : «السلام عليكم ورحمة الله» قال : فرد سعد رداً خفياً ، فقال قيس فقلت : – أي لأبيه – : ألا تأذن لرسول الله ﷺ ؟ فقال : ذره يكثر علينا من السلام ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «السلام عليكم ورحمة الله» فرد سعد رداً خفياً ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «السلام عليكم ورحمة الله» ثم رجع رسول الله ﷺ واتبعه سعد ، فقال : يارسول الله ! إني كنتُ أسمع تسليمك وأرد عليك ردا خفيا لتكثر علينا من السلام ، قال : فانصرف معه رسول الله ﷺ ... ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهويقول : «اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ...» الحديث . (رواه أبو داؤد في سننه «كتاب الآداب» «باب كم مرة يسلم الرجل في الإستيذان ؟») .

هنا أقول يا إخوتي في الله

● إن التحية والسلام من جهة المسلّم هو دعاء لأخيه المسلَّم عليه بالسلامة والرحمة والبركة، وكذلك المسلَّم عليه إذا ردّ عليه السلام بأحسن منه أو نفسه، هو أيضاً دعاؤه لأخيه المسلم، وللدعاء الذي يدعو به لغيره تأثير ودرجات بعضها فوق بعض

✪ فبين دعاء الرجل الصالح والطالح فرق ، وكذلك في دعاء العالم والجاهل فرق ، ودعاء آكل الحرام شيء ، ودعاء آكل الحلال شيء آخر ، وكذلك لا بد من الفرق بين دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا لأحد من أمته ، وبين دعاء أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم لغيرهم .

✪ فكما أن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم ملك الكلام ، كذلك دعواته صلى الله عليه وآله وسلم سيدة الدعوات ، فمن دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته فهو خير له من الدنيا وما فيها .

✪ فكان أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء

يشتاقون إلى دعواته ﷺ لأنفسهم ولأولادهم ، وكان ﷺ يدعو لهم بالبركة والسلامة والمغفرة وبخيرى الدنيا والآخرة كما يعرفه أهل العلم .

✪ **فهذه السيدة عائشة** رضي الله عنها تقول : لما رأيت من النبي ﷺ طيّب نفس قلت : يارسول الله ! أدع الله لي ، قال : «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرت وما أعلنت» فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال رسول الله ﷺ : «أيسرُّك دعائي ؟» فقالت : وما لي لا يسرُّني دعاؤك ؟ فقال : «والله ! إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة» (أخرجه البزار ، وقال الهيثمي ٩ / ٢٤٤ : رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة اهـ)

✪ **وهذا عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه قال : «ياليتني كنتُ صاحب الحفرة» حينما«نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبر عبدالله المزني رضي الله عنه وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يدليانه إليه - ﷺ - وكان رسول الله ﷺ يقول لهما : «أدنيا إلّي أخاكما» ، ولما هيئه لشقه قال عليه الصلاة والسلام : «اللهم إني قد أمسيتُ راضياً عنه ، فارض عنه» قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «يا ليتني كنتُ صاحب الحفرة» (ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢ / ٣٣٨) .

✪ **وهذا سعد بن عبادة وامرأة أبي الهيثم** رضي الله عنهما أختارت طريقة أخرى في طلب الدعاء منه ﷺ والاستكثار من سلامه وبركته - كما مر - متمنياً بذلك بأن يخرج من لسانه المبارك في حقنا : «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» مرة بعد أخرى ، فنعمة الأمنية هذه والطلب والكسب لمن أحب ذلك وناله .

أحبابي وأصحابي ! هذه الأمنية وطلب الدعاء منه ﷺ بالسلامة والرحمة والبركة بعين هذه الطريقة لا يمكن حصولها لنا بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

● **ولكن هناك طريقة أخرى** للحصول على هذا الدعاء نفسه منه صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك بالحضور عند بيته وحجرته وقبره صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم بقراءة

الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم لأنه صلى الله عليه وآله وسلم يسمع لمن صلى عليه بها عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم ويردُّ السلام بنفسه الشريفة - ومن غير واسطة - على من يسلّم عليه صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت ذلك في الأحاديث السابقة - ولا ينكر ذلك أحد من أهل العلم - وإن لم نستطع أن نسمع منه صلى الله عليه وآله وسلم رد السلام ، ولا يبعد ذلك السماع وهو في قبره صلى الله عليه وآله وسلم كما قال ذلك ابن تيمية وابن كثير رحمهما الله تعالى :

● **فذكر ابن تيمية رحمه الله** في معرض كلامه عن اتخاذ القبرِ مسجدا أو وثنا يعبد ثم قال : ولا يدخل في هذا الباب ما يُروى من أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين ، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرّة ونحو ذلك اهـ (كما في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ٣٧٣ لابن تيمية) .

● **وقال ابن كثير رحمه الله :** ٣ / ٤٤٠ مفسرا لقوله تعالى ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ... ﴾ : ● وقد شرع السلام على الموتى ، والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال وقد علّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته إذا رأو القبور أن يقولوا : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية» فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلّم الرد . والله أعلم . (انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى) .

✪ وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليهبطنَّ عيسى ابن مريم حكما إماماً مقسطاً ، وليسلكن فجاء - اسم موضع - حاجا أو معتمراً ، وليأتين قبري حتى يسلِّم عليّ ولأردّنّ عليه» (كما في «الجامع الصغير» ٢ / ١٤٠ وقال : صحيح ، ورواه أبو يعلى برجال الصحيح والحاكم في «المستدرك» كما ذكره صاحب «مجمع الزوائد») .

✪ فإذا ثبت هذا بأنه ﷺ يسمع سلام من يسلّم عليه عند قبره ويرد السلام على المسلِّم بنفسه الشريفة ومن غير واسطة ، ورد السلام منه صلى

الله عليه وآله وسلم هذا : هو كلامه المبارك الذي وفقه الله تعالى لأدائه بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم وذلك مايليق بشأنه في عالم البرزخ .

فمن هذا المنطلق نقول : إن حرمة كلامه وسلامه ﷺ ميتاً كحرمته حياً .

✪ **وقد ذكر القرطبي رحمه الله** في تفسيره الجزء : ١٦ / ٢٠٢ وقال : «وحرمة النبي صى الله عليه وسلم ميّتا كحرمته حياً ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثالُ كلامه المسموع من لفظه فإذا قرىء كلامه ، وجب على كل حاضر ألاّ يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به . وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى : ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ الأعراف : ٢٠٤ . وكلامه صلى الله عليه وسلم من الوحي ، وله من الحكمة مثل ما للقرآن ، إلا معاني مستثناة ، بيانها في كتب الفقه» قاله القاضي أبو بكر بن العربي اهـ .

• **فمن أراد أن يستفيد من هذه المنقبة الشريفة** وأحب الاستكثار في السلام والبركة منه صلى الله عليه وآله وسلم كما أحب ذلك سيدنا سعد بن عبادة وامرأة أبي الهيثم رضي الله عنهما ، فليحضر مسجده ثم يحضر قبره ويصلي عليه ويسلم (وكذلك يكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ حيثما كان) ، فينال بذلك من سلامه وبركته ﷺ ، ومن رحمته سبحانه وتعالى إن شاء الله . وأنشد بعضهم :

زُرْ مَن هويتَ وإنْ شطَّتْ بك الدار
وحال من دونه حُجُب وأستار
لا يمنعنَّك بعْدٌ عن زيارته
إنّ المحبَّ لمن يهواه زوّارُ

والأحاديث في الحث على الإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة ، وأقتصر على ذكر حديث واحد فقط وهو كالآتي :

✪ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلّ عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً» (رواه مسلم في صحيحه برقم : ٧٠) .

وأن من صلى على النبي ﷺ صلى الله عليه بها عشر مرات ، إضافة

إلى الحسنات ورفع الدرجات ، ويضاف إلى هذا أن المكثر من الصلاة على النبي ﷺ يغفر له ذنبه ويُكفى همه ، فما ذا يريد عبدالله بعد ذلك ؟وما أحسن قول القائل :

أدِم الصلاة على النبي محمــد
فقبولها حتم بـــدون تــردد
أعمالنـا بيـن القبـول وردّهـــا
إلا الصــلاة على النبي محمــد

صلى الله عليه وآله وسلم

وقــال أحــدهــم ونعــم مــا قــال :

سـلام من الرحمن نحو جنابـه ﷺ
لأن ســلامي لا يليــق ببــابــه ﷺ

صل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قصة غريبة للملك عبدالعزيز آل سعود مـع عالم هنـدي رحمهما الله

قال تعالى : ﴿ونَكتُبُ ما قدَّمُوا وآثارَهُم﴾ يس : ١٢

● حكى لي أحد شيوخ المدينة النبوية أن والد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله ، أقام مؤتمراً عالمياً إسلامياً في عهده ، وأرسل الرسائل أو البرقيات إلى الراسخين في العلم للحضور في هذا المؤتمر العالمي الإسلامي ، وطلب من كل دولة اثنين أو ثلاثة من العلماء الكبار ، فأرسل من ضمنهم البرقية إلى علماء الهند منهم الشيخ أبو الكلام آزاد ، وكان الشيخ في تلك الأيام في سجن الحكومة الإنجليزية في الهند ، لأنه كان يحرّض المسلمين على إخراج الإنجليز من أقليم الهند فمسكوه وسجنوه .

✪ فلما وصلت البرقية إلى الشيخ بواسطة أحد أقربائه وهو في السجن قال له عند تقديم البرقية : أن الشيخ الفلاني من الهند ذو حظ عظيم ، وما أعظم شأنه وقد جعل الله في نصيبه زيارة الحرمين الشريفين مع حضوره في المؤتمر ، وها أنت مسجون ومحروم من هذه الزيارة المباركة والمؤتمر ، فأنشد الشيخ على البديهة في اللغة الأردوية وقال :

بے مایہ سہی لیکن شاید وہ بُلا بھیجیں
بھیجی ہیں دُرودوں کی ہم نے بھی تو سَوغاتیں

● معناه والله أعلم : لم أجد شيئاً من المال ولا الأسباب المؤدية إلى الحرمين الشريفين ولكنني أرجو من الله سبحانه أن يهيء لي من الأسباب المؤدية إلى الأرض المقدسة ، وذلك ببركة الشيء الغريب العجيب الذي أرسله دائماً إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الإكثار من الصلاة

والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم اهـ .

✪ ثم كتب الشيخ جواب البرقية وبيّن فيه عذره بأنه مسجون في هذه الأيام ، فلا يستطيع الحضور في المؤتمر ، ودعا له بخير .

✪ فلما وصل الجواب إلى الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ، وعلم أن الشيخ أبا الكلام آزاد في السجن ، وذلك بسبب حرصه على الصدع بالحق وإعلاء كلمة الله ، فظهرت وفاضت الرحمة والمودة والشفقة من صدر هـــذا الملك المؤمن للمؤمن التي أخبر عنها سيد الأنبياء صلوات الله عليه قائلا :

«ترى المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتَعاطُفهم كمثل الجسد - الواحد - إذا اشتكى - منه - عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» متفق عليه كما في المشكاة «باب الشفقة والرحمة على الخلق» .

✪ فكتب الملك المعظـم إلى زعيم الهند ما كتب ، وطلب منه فكاك هذا الشيخ المذكور وحضوره في المؤتمر الإسلامي ، وأرسل طيارة خاصة من السعودية إلى الهند وذلك إجلالاً لهذا العالم الكبير ليحضر المؤتمر ولكى ينتفع المسلمون من علمه وفكره في أمورهم الإسلامية .

فلما وصل رسول الملك إلى عظيم الهند وقرأ رسالته الخاصة ، أخرجه من السجن في نفس اليوم ، فحضر الشيخ في المؤتمر بطيارة خاصة وذلك قبل يوم واحد من بدء هذا المؤتمر .

✪ خرج الشيخ من السجن ، واستجاب الله دعاءه ، وزار الحرمين الشريفين ، وذهبت همومـــه وغمومه بأسرها ، فكذلك يفعل الله مع أحبائه وأحباء حبيبه ﷺ الذين يهتمون بالإكثار من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

✪ وصدق النبي الأنور صلى الله عليه وآله وسلم حين قال لصاحبه أبيّ بن كعب رضي الله عنه حينما سألـــه عن الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وســـلم قائلا : « ... أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : إذا تُكفى همَّك ويُغفرُ ذنبُك» . (رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ١٣٦ ، ورواه الترمذي وصححه) .

وقال في «القول البديع» ص ١٤٤ : «فقد علمتَ أنك إن جعلت الصلاة على نبيك ﷺ معظمَ عبادتك : كفاك الله همّ دنياك وآخرتك» . اهـ .

✪ وذكر القرطبي في تفسيره الجزء ١٤ / ١٥١ : وقال سهل بن عبدالله : «الصلاة على محمد - ﷺ - أفضل العبادات ، لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ، ثم أمر بها المؤمنين ، وسائر العبادات ليس كذلك» . اهـ

● وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

وهــــذا آخر ما أوردناه في هذا الكتاب ، وقد استراح القلم بحمدالله وتوفيقه من تأليف كتابنا : «**كيف تستفيد من الحرمين الشريفين ؟**» في أوائل شهر رجب عام ١٤١٩هـ بالمدينة المنورة .

وما توفيقي إلا بالله ، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا علي عهدك ووعدك ما استطعتُ ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفرلي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم واجعله لي أجراً وذخراً بعد ما يأتيني اليقين ، وينقطع عمل العاملين آمين .

اللهم ارحــمنــا إذا عرق الجبين ، وكثر الأنين ، وبكىٰ علينا الحبيب ، ويئس منا الطبيب .

اللهــم ارحمــنــا إذا وارانا التراب ، وودعنا الأحباب ، وفارقنا النعيم ، وانقطع النسيم .

اللهــم ارحـمنـا إذ نُسي اسمنـا ، وبُلي جسمنا ، واندرس قبـرنا ، وانطـوي ذكرنا .

اللهــم ارحـمــنا يوم تبلىٰ السرائر ، وتبدىٰ الضمائر ، وتنشر الدواوين ، وتنصب الموازين .

اللــهــــم يا حي يا قيوم ، يا رحمن يا رحيم ، برحمتك نستعين ، أمين .

ونســـأل الله تعـــالى أن يمن علينا برضاه ، ويقبلنا على ما فينا من عوج وتقصير ، ويغفرلنا ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ، ويعطينا سؤلنا ، ويحفظنا في أهلنا وأولادنا وأزواجنا ، وأحبابنا وأنفسنا ، إنه نعم المولى والقادر عليه ، ولا يخرجنا من بلد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، ويجعل حشرنا منها ، مع سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، حتى نشرب معه في الجنة كأساً دهاقاً ، ومن لبن لم يتغير طعمه ﴿على سُررٍ موضونةٍ ، متَّكئين عليها متقابلين ـ واجعلنا ممن ـ يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وَكأس مِن معين ، لا يُصدّعون عنها ولا يُنزِفون ، وفاكهةٍ ممّا يتخيَّرون ، ولحم طيرٍ مما يشتهون ، وحورٌ عينٌ ، كأمثال اللؤلؤِ المكنونِ ، جزاء بما كانوا يعملون﴾ آمين يا رب العالمين .

والصـلاة والسلام عـلى سيـد الأولين والآخـرين وعـلى آله وصحبه ومن سلك سبيـلهـم إلى يـوم الـدين والحمد لله رب العالمين .

أبـو طلحة
مـحمـد يـونس عبـدالستار

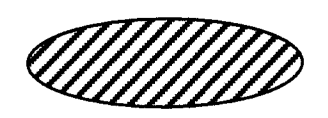

فهرس الكتاب

الحمد لله رب العالمين

جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة[1]

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الحج	فرض على الفور	فرض على الفور	فرض على التراخى	فرض على الفور
العمرة	سنة	سنة	فرض	قولان ١ واجبة ٢ سنة
نية الإحرام بالحج أو العمرة	شرط	ركن	ركن	ركن
قرن الإحرام بالتلبية	شرط	واجب	سنة	سنة
الغسل للإحرام	سنة	سنة	سنة	سنة
التطيب	سنة	محظور بقاء ريحه بعد الاحرام	سنة فى البدن	سنة فى البدن
الإحرام من الميقات المكانى	واجب	واجب	واجب	واجب
الميقات الزمانى أشهر الحج	شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذى الحجة	شوال وذو القعدة وذو الحجة	شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة	شوال وذو القعدة وعشر أيام من ذى الحجة
طواف القدوم	سنة	واجب	سنة	سنة
التلبية	سنة	واجب	سنة	سنة
وجوب الحج على المعضوب بشروطه	واجب	لا يجب إلا إذا قدر عليه بنفسه	واجب	واجب
طواف الإفاضة	أكثره ركن والباقى واجب	ركن	ركن	ركن
الرمل فى الطواف الذى يعقبه سعى	سنة	سنة	سنة	سنة

(١) أنظر «قطف الثمار» لفضيلة الفقيه العلامة الشيخ عبدالرحمن محمود مضاي المدني .

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الإضطباع فى الطواف	سنة	لايشرع	سنة	سنة
نية الطواف	سنة	يشترطها بعض أصحاب مالك	سنة	شرط
ركعتا الطواف	واجبتان	واجبتان	سنة	سنة
المشى فى الطواف لغير العاجز	واجب	واجب	سنة	شرط
البدء فى الطواف بالحجر الأسود	واجب لاتجبر بدم	واجب	شرط	شرط
الطهارة فى الطواف	واجب	شرط	شرط	قولان ١ شرط ٢ ـ واجب
كون الطائف خارجاً عن البيت بجميع بدنه	واجب	شرط	شرط	شرط
الطواف داخل المسجد	شرط	شرط	شرط	شرط
السجود على الحجر الأسود(١)	بدعة	بدعة	سنة	سنة
الموالاة بين أشواط الطواف	سنة	قولان ١ـ واجب ٢ ـ شرط	سنة	شرط

(١) وحجة الإمام الشافعى وأحمد رحمهما الله ما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يسجد على الحجر الأسود» المجموع جـ ٨ ص ٣٣ ، والذى يظهر لى عدم ثبوت ذلك عند أبى حنيفة ومالك رحمهما الله والله أعلم .

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
السعى فى الحج	واجب	ركن	ركن	ركن على الراجح من ثلاثة أقوال
نية السعى	واجب	شرط	سنة	شرط
البدء بالصفا والختم بالمروة	واجب	شرط	شرط	شرط
الموالاة من أشواط السعي	سنه	قولان : ١ - واجب ٢ - شرط	سنه	سنه
عدم الفصل بين السعى والطواف	سنة	قولان ١ - سنة ٢ - واجب	سنة	سنة
الطهارة فى السعى من الحدثين	سنة	سنة	سنة	سنة
ستر العورة فى السعى	شرط	شرط	سنة	١ - سنة ٢ - واجب
كون السعى سبعة أشواط	واجب	شرط ،	شرط	شرط
عدم الصارف فى السعى	شرط	شرط	شرط	شرط
المبيت بمنى ليلة عرفة	سنة	سنة	مندوب	مندوب
حضور الحاج بعرفة فى وقته	ركن	ركن	ركن	ركن
الوقوف عند الصخرات بعرفة	سنة	سنة	سنة	سنة
صعود جبل الرحمة	لايطلب	لايطلب	لايطلب	لايطلب
الجمع بين الظهر والعصر بنمرة	سنة	سنة مع القصر	سنة للمسافر	قولان ١ - سنة ٢ - واجب

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الانصراف إلى الموقف بعد صلاة الظهر والعصر مباشرة	مستحب	مستحب	مستحب	مستحب
وقت الوقوف بعرفة(١)	من زوال اليوم التاسع الى فجر يوم النحر	من زوال اليوم التاسع الى طلوع فجر يوم النحر	من زوال اليوم التاسع الى طلوع فجر يوم النحر	من فجر اليوم التاسع إلى طلوع فجر يوم النحر
القدر الكافي في الوقوف بعرفة	لحظة من ذلك الزمن المتقدم	لحظة من ليلة الأضحى	لحظة من ذلك الزمن المتقدم	لحظة من ذلك الزمن المتقدم
الجمع بين الليل والنهار بعرفة	واجب	واجب	سنة على الأصح	واجب
حج من وقف بوادى عرفة	لايصح	قولان ١ ـ لايصح ٢ ـ يصح	لايصح	لايصح
وقوف المغمى عليه	يصح	يصح	لايصح	لايصح
المبيت بمزدلفة والقدر المطلوب	سنة ساعة قبل الفجر	واجب قدر حط الرحال في أي ساعة من الليل	واجب ولو لحظة من النصف الثانى من الليل	واجب ولو لحظة من النصف الثانى من الليل
الوقوف بالمشعر الحرام يوم الأضحى	واجب لحظة من طلوع الفجر إلى الشروق	مندوب من الفجر إلى الاسفار	سنة من الفجر الى الأسفار جداً	سنة من الفجر إلى الأسفار جداً
الجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة	لايصح إلا بمزدلفة	قولان: ١ جائز ٢ ـ يسن	جائز	جائز

(١) ـ حجة الحنابلة حديث عروة بن صخر الطائى ، وهو حديث صحيح مطلق . وحجة الجمهور: أن الوقت يدخل من الزوال لفعله ﴿ﷺ﴾ المقيد لذلك مع قوله «لتأخذوا عنى مناسككم».

تابع "جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
الدفع من مزدلفة قبل طلوع الفجر	لايجوز ويلزم بذلك الدم	جائز	جائز	جائز
رمى جمرة العقبة	واجب من طلوع الشمس يوم النحر إلى فجر اليوم الثانى(١)	واجب من طلوع الشمس يوم النحر إلى الظهر ويكره بعد ذلك إلى الغروب	واجب بعد نصف ليلة النحر إلى آخر أيام التشريق	واجب من نصف ليلة النحر إلى اخر أيام التشريق
الأفضل فى موقف الرامى لجمرة العقبة	فى بطن الوادى ومنى عن يمينه ومكة عن يساره	مثل ذلك	مثل ذلك	مثل ذلك
الحلق أو التقصير فى الحج أو العمرة	واجب ربع الرأس أو كله	واجب حلق الرأس أو أكثره	ركن أخذ ثلاث شعرات حلقا أو تقصيرا	واجب جميع الرأس
الحلق فى الحرم	واجب	سنة	مندوب	سنة
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	واجب	مندوب لكن تأخير الحلق عن الرمى واجب	سنة	سنة
وقت قطع التلبية	عند شروعه فى رمى جمرة العقبة	قبل الوقوف بعرفة	عند شروعه فى رمى جمرة العقبة	بعد الفراغ من الرمى
لبس المحرم السراويل عند فقد الازار	يجوز وعليه الفدية	يجوز وعليه الفدية	يجوز ولافدية عليه	يجوز ولافدية عليه

(١) حجة أبى حنيفة ومالك حديث ابن عباس «أن النبى ﴿ﷺ﴾ أمرهم أن يرموا بعد طلوع الشمس» وهو حديث صحيح. وحجة الشافعى وأحمد حديث أم سلمة وغيره فى مسألة تعجيل دفع الضعفة من مزدلفة إلى منًى «انتهى من المجموع جـ ٨ ص ١٨١».

تابع جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
أحرمت المرأة بحجة الاسلام بدون إذن زوجها	جائز	جائز	قولان : أصحهما لايجوز	جائز
الهدى من الحرم وذبحه فيه	جائز	لابد من سوقه من الحل إلى الحرم	جائز	جائز
الوطء قبل التحلل الأول	إن كان قبل الوقوف فسد وإن كان بعده لم يفسد الحج ويلزمه بدنه	يفسد الحج والعمرة بذلك	يفسد الحج والعمرة بذلك	يفسد الحج والعمرة بذلك
حلق المحرم لشعر الحلال	لايجوز	يجوز	يجوز	يجوز
حاضرى المسجد الحرام	هو مادون المواقيت	هو مكة وذى طوى	مادون مسافة القصر إلى الحرم	مادون مسافة القصر الى الحرم
وقت صيام السبعة للعاجز عن الهدى	إذا فرغ من الحج ولو كان فى مكة	إذا خرج من مكة	إذا رجع إلى أهله	اذا رجع إلى أهله
الأيام المعلومات	يوم عرفة ويوم النحر واليوم الأول من أيام التشريق	يوم النحر ويومان بعده	عشر ذى الحجة	عشر ذى الحجة
الايام المعدودات	أيام التشريق	أيام التشريق	أيام التشريق	أيام التشريق
نكاح المحرم	صحيح (١)	باطل	باطل	باطل

(١) حجة الجمهور الحديث الذى فيه النهى عن نكاح المحرم، وحديث ميمونة رضى الله عنها «أن النبى ﴿ﷺ﴾ تزوجها وهو حلال، ودخل بها وهو حلال».

وحجة أبو حنيفة حديث ابن عباس «أن النبى ﴿ﷺ﴾ تزوج بميمونة رضى الله عنها وهو محرم» انتهى ملخصا من المغنى لابن قدامة جـ ٣ ص ٣١٢.

"تابع" جدول تلخيص الأحكام على المذاهب الأربعة

الحكم	الأحناف	المالكية	الشافعية	الحنابلة
مراجعة المحرم زوجته وقت ذبح الهدى التمتع أو القران	جائز بعد رمى جمرة العقبة	جائز بعد رمى جمرة العقبة	جائز بعد التحلل من العمرة	لايجوز يوم النحر مقدار وقت الفراغ من صلاة العيد

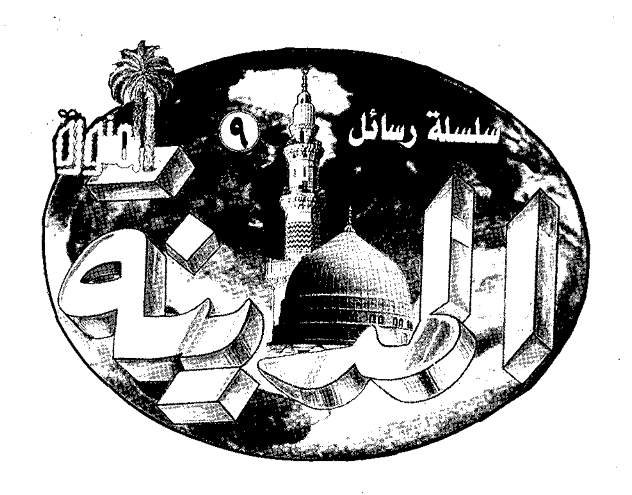
سلسلة رسائل
٩
المنورة
المدينة

مكة المكرمة ــ ت : ٥٤٩٠٧٤٢

سلسلة رسائل المدينة المنورة (١٠)

كتاب جديد وبصدد الطباعة إن شاء الله المسمى باسم :

قصص

المتزوجين والمتزوجات

قصص من أبينا سيدنا آدم ﷺ إلى دورنا هذا بالإختصار

كتاب وحيد ومفيد وغريب في بابه إن شاء الله

- **وهو موجه إلى من أراد أن يجعل حياته الزوجية ساكناً مطمئناً .**
- **إلى من أراد أن يجعل بيته روضة من رياض الجنة .**
- **إلى من أراد الحل الصحيح (في ضوء الكتاب والسنة) لحل عقد النكبات والاضطرابات والاختلاف الطارئ بين الزوجين الذي دمر العائلات العامرات الضاحكة المستبشرة والمستبصرة .**
- **فحري بنا أن نحسّن أخلاقنا مع زوجاتنا ونمنحهنّ ما أوجبه الله علينا كل أمانة وإخلاص لينادي علينا المنادي يوم القيامة ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾ .**

جعلنا الله منهم آمين .

وماتوفيقي إلا بالله